الإسكندرية

في

الشعر المصري الحديث

إعـداد

د/ إيمان محمد عبدالفتاح الشماع

مدرس الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

مُقَدِّمَة

هام كثير من الشعراء في آداب العالم بالمدن التي عاشوا فيها أو مروا بها.. وكم من مدينة ألهمت الشعراء في مشارق الأرض ومغاربها.. أيا ما كان باعثهم على حب تلك المدن والهيام بها..

ومن الشعراء أيضاً من كرهوا مدينة بعينها خاضوا فيها تجربة من تجارب الحياة، أو كرهوا كل المدن وفضلوا عليها القرية أو البادية، أو لم يفضلوا عليها شيئاً مكتفين بانتقاد طبائع البشر فيها.. أو ما تنتجه تلك المدن من قيم مادية أو اجتماعية يراها الشعراء منقصة أو مذمة..

ومن هنا كانت بعض المدن محل اهتمام الشعراء ومنبع إلهامهم، أيا كان الباعث على الاهتمام أو طبيعة الإلهام، مثل باريس عند أراجون، ونيويورك والمدن الأندلسية عند لوركا (قرطبة وملقا)، ولندن عند إليوت وإزرا باوند، ونيويورك عند مايكوفسكي، ولينجراد عند الشاعر الروسي يوسب مند بشتام، والقاهرة عند صالح جودت وصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي وغيرهم، والقدس وبغداد عند عدد كبير من الشعراء العرب. ويلاحظ أن بعض الشعراء في مصر والعالم تحدثوا عن المدن في بعض قصائدهم دون ذكر أسمائها مثلما فعل كفافيس وفؤاد طمان بالنسبة للإسكندرية.

المدن إذن تعيش في أعمال عدد كبير من شعراء العالم على نحو أو آخر ومنها مدينة الإسكندرية التي احتلت مكانا بارزا بصفة خاصة في الشعر المصري واليوناني.. ولأنها مدينة « كوزموبوليتانية » جميلة وتاريخية، عاشت فيها مع المصريين جاليات ضخمة من الإيطاليين واليونانيين والإنجليز والفرنسيين والأتراك

وعرب المشرق والمغرب، فقد كان طبيعياً أن تتسلل هذه المدينة الرائعة إلى قلوبهم ومن ثم إلى إبداعات شعرائهم وروائييهم وكُتَّابهم..

عاشت الإسكندرية في قصائد شعراء المدينة الذين أقاموا بها وأبدعوا فيها ومنهم : كڤافيس الشاعر اليوناني السكندري العالمي وفؤاد طمان وعبد المنعم الأنصاري وخليل شيبوب (الشامي الأصل) وزكي غازي ومحمود العتريس وعبد العليم القباني وأحمد السمرة وفوزي خضر وعبد اللطيف النشار وحميدة عبد الله وعلى الباز وغيرهم.

وهي موضع حب واهتمام شعراء مروا بها أو عاشوا فيها فترات محدودة وأحبوها كما لم يحبوا قراهم أو مدنهم الأخري مثل أمير الشعراء أحمد شوقي وصالح جودت وإبراهيم ناجي وأحمد عبد المعطي حجازي وأمل دنقل وعبد الرحمن شكري وفاروق شوشه وجمال القصاص ووليد منير. وفي بحثنا هذا لن نتناول جميع الشعراء الذين تحدثوا عن الإسكندرية بل نختار منهم نخبة من الشعراء المُجيدين الذين بنوا للإسكندرية عالماً متميزا في شعرهم.. ولهم رؤيتهم الخاصة للمدينة.. أو تغنوا بها غناء عذبا لا يجوز إغفاله.

وعندما اخترت موضوعا لبحثي: **الإسكندرية في الشعر المصري الحديث** لم يكن هدفي مجرد إبراز مازخر به هذا الشعر من ثناء على الإسكندرية ووصف لجمالها، بل لأبرز أيضاً رؤية بعض الشعراء الذاتية الخاصة لهذه المدينة الخالدة وتسجيلهم لواقعها الذي عاشوه وتاريخها الذي عاشته أو عاشوه فيها، ودورها في النهضة، وليكون الحديث عنها دعوة لاستعادة مجدها التليد واستئناف دورها الحضارى العظيم.

❁❁❁

الإسكندرية في شعر شوقي

احتفى أمير الشعراء بالإسكندرية في عدة قصائد استلهمها من لوحاتها البديعة وطبيعتها الساحرة وتاريخها المجيد ودورها في الثقافة الإنسانية، ملونا إياها بألوانها الزاهية ومفردات معجمها الخاص من : شواطىء وبحار وطيور وموج ورمل ونخيل وسواري وماء بلون الفيروز واللجين، مشيرا إلى ما ازدهر فيها من فنون وعلوم وثقافات، وحضارة مصرية إغريقية رومانية إسلامية عربية انطلقت إلى آفاق الشرق والغرب.

من أشهر تلك القصائد مرثية لشاعر النيل حافظ إبراهيم وفيها يخاطب الإسكندرية قائلاً :

إسكندريةُ ياعروسَ الماءِ	وخميلةَ الحكماءِ والشعراءِ
قد جملوك فصرت زنبقة الثرى	للوافدين.. ودرة الدأماء
غرسوا رباك على خمائل بابلٍ	وبنوا قصورك في سنا الحمراءِ
واستحدثوا طَرُقا منورة الهدى	كسبيل عيسى في فجاج الماء

وهكذا تجلت الإسكندرية في هذه الأبيات بجمالها وطبيعتها الفتانة.. فهي عروس الماء.. التي جُمَّلت فصارت حديقة الوافدين الغناء ولؤلؤة البحار.. غرست الخمائل على رباها وكأنها حدائق بابل المعلقة الشهيرة التي عدت من عجائب الدنيا.. وأقيمت فيها القصور التي تضاهي قصر الحمراء وهو من أشهر قصور العالم والذي باهت به الأندلس، واستحدثت فيها الطرق الواسعة المضيئة بالنور

والهدى وكأنها الطريق الذي سلكه المسيح عليه السلام عندما مشى على الماء في بحيرة «طبرية» محققا إحدى معجزاته المعروفة .

الإسكندرية إذن في أبيات شوقي هي المدينة الجميلة ذات الطبيعة الفاتنة، حيث البحر والشواطيء والحدائق والقصور البديعة المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وإذا كان هذا تناولا للجمال المادي ففي الأبيات التالية من ذات القصيدة تناول للجانب الروحى والثقافي والحضارى للمدينة.. فهي ملهمة الفنون التي نشأت فيها وازدهرت وعلا بنيانها إلى السماوات.. وهي المدينة التي جذبت إليها فناني العالم.. وجلبت في مسيرة حضارتها ألوان الفنون المختلفة :

نشـــأت بشـــاطئكِ الفنـــونُ جمليـــةً وترعرعـــت بســـمائك الزهـــراءِ

جاءتـــكِ كـــالطير الكـــريم غرائبـــا فجمعتهـــا كـــالربوة الغنـــاءِ

ولا يتحدث شوقي عن حظ المدينة من الفنون على مدي تاريخها الزاهر فقط بل يشير إلى حظها من الثقافة بصفة عامة ويدعوها إلى الاحتفاء بتلك الثقافة والاهتمام بها كما فعلت في القرون الغابرة، كما يدعوها للاهتمام بشبابها النجباء على طريق تلك الثقافة العريقة :

فخـــذى كـــأمسِ مـــن الثقافـــة زينـــةً وتجملـــى بشـــبابك النجبـــاءِ

وتَقَلَّـــدى لغـــةَ الكتـــابِ فإنهـــا حجـــرُ البنـــاءِ وعُـــدَّةُ الإنشـــاءِ

وهنا لا يقتصر شوقي على الثناء على المدينة ووصفها في قصائده بل يضمنها دعوة بناءة للنهضة والاهتمام بالعلم والمعرفة والتمسك بلغة الكتاب أي

بلغة القرآن وهو أبلغ وأسمى آيات البلاغة العربية. وفي هذا الصدد يقول الشاعر فؤاد طمان: « وشوقى لا يقصد فقط علوم اللغة وفنونها، بل أيضاً قيم الإسلام السامية ومثله العليا والطريقة التي استنها للبشر ليهتدوا بها في مسيرة الحياة فتلك كلها مما ضمه «الكتاب » الذي يدعوها للتمسك به. لأن الشعر لا يذهب للمعني المباشر للعبارة فقط بل إنه أيضاً يعتمد المجاز والرمز في بنيانه.. فعندما يتحدث عن « لغة الكتاب » فهو يعني فضلا عن «لغته» بالمعني الضيق للكلمة كل المعاني المتصلة بقيمة ومثله العليا ورسالته وهذا هو التفسير الصحيح فيما أظن لإيراد شوقى هذه الأبيات التي يخاطب فيها الإسكندرية ضمن قصيدة خصصت لرثاء حافظ إبراهيم.. فهو لم يخرج عن سياق وجوهر القصيدة المرثية ليتحدث بلا سبب ولا مناسبة عن الإسكندرية ثم يعود بعد هذه الأبيات إلى رثاء حافظ.. ذلك لأن مرثيته لم تشر فقط لمكانة حافظ في نفسه وللحزن على فراقه ولكنها ترثي في شاعر النيل وطنيته ودوره في النهضة والدفاع عن الحق وعن العروبة مما جعله يمنح السودان سنوات شبابه ويدافع عنه في السلم والحرب..كما يشيد بدور حافظ في النهوض باللغة العربية والشعر وتسنمه ذروة البيان بموهبته واجتهاده.. وما دام شوقى يرثى في حافظ هذه القيم ويشيد بهذا الدور في النهضة فيكون طبيعيا _ وقد كتب القصيدة في الإسكندرية _ أن يتحدث عن تاريخها وثقافتها ودورها في إذكاء الثقافة وبناء الحضارة . وهو ما تجلى في البيتين التاليين الذين يبرزان بجلاء هذا الدور العظيم لمدينة الإسكندرية:

بَنَـــتْ الحضـــارةَ مَـــرَّتَيْنِ، ومَهَّـــدَتْ للمُلـــك فـــي بغـــدادَ والفيحـــاءِ

وسَـــمَتْ بقرطبـــة ومصـــر فحلّتـــا بـــين الممالـــك ذروةَ العليـــاءِ [١]»

ويقول الباحث الشاعر «أحمد شلبي» إن شوقي هنا يتمني أن تعود الإسكندرية كما كانت بانية الحضارة، كما فعلت في العصر الإغريقي الروماني، وفي العصر الإسلامي [٢].

لم تكن القصيدة السابقة هي القصيدة الوحيدة التي احتفي فيها شوقي بالإسكندرية بل تناولها في عدة قصائد، ولكن مرثيته لحافظ تلك كانت من قصائدة الأخيرة إن لم تكن آخر قصائده على الإطلاق، فقد رحل شاعر النيل في يوليو ١٩٣٢ وكتب شوقي تلك القصيدة ونشرها في مجلة «أبولو» (عدد أكتوبر ١٩٣٢) قبل رحيله بأيام قليلة [٣].

وقبل هذه القصيدة تحدث عن الإسكندرية وشواطئها وبحرها الأبيض وتاريخها ومجدها في عدة قصائد وردت في ديوانه «الشوقيات » منها : «البحر الأبيض» التي نظمها في صيف عام ١٩٣١، و «إسكندرية آن أن تتجددي »، و «قصر المنترة». ولم تخرج المعاني التي وردت في تلك القصائد حول الإسكندرية عما تضمنته مرثية حافظ من حيث الجوهر.

❀❀❀

(١) انظر : فؤاد طمان : الإسكندرية في شعر أمير الشعراء (محاضرة ألقيت بمركز الإسكندرية للإبداع صالون الشعر –٢٠٠٦).

(٢) انظر : أحمد شلبى : «تجليات الإسكندرية في الشعر الحديث والمعاصر » – الناشر دار السفير – الطبعة الأولى ٢٠١١ صـ١١.

(٣) انظر : أحمد شلبي : المرجع السابق صـ٩.

الإسكندرية في شعر « زكي غازي »

لهذا الشاعر مقطوعة رقيقة تحمل عنوان «جنة الرمل ». والرمل منطقة جميلة من أضخم مناطق المدينة. أما «جنة الرمل » التي قصدها الشاعر في مقطوعته فهي حى بعينه في «الرمل» هو حى «لوران» كما ذكر هو نفسه في أبياته. وقد كان من أجمل أحياء الإسكندرية وأرقاها وكان زاخرا بالقصور والفيلات الأنيقة والحدائق، والأشجار التي تملأ حدائق مبانيه وطرقه. والمقطوعة وإن كانت عاطفية غزلية إلا أنها تبرز حيا من أحياء الإسكندرية في ثوبه القشيب روضة من الحسن وجنة لا ينكر نعمتها. يقول الشاعر زكي غازي:

حَيِّ الظَباءَ التي في حى «لورانِ» فهن كن بذاك العهد جيراني

واسأل هنالك غزلانا أقمن به ماذا فعلن بقلبي بعد هجراني

روض من الحسن أدناني وبي رمقٌ من الصَّبا.. وقبيل الشيب أقصاني!

ياجنة الرمل، لم نكفر بنعمتها ولا مسسنا بها تفاح رضوان !

وفي قصيدة عاطفية غزلية أخرى بعنوان «الملهمة» يعرج الشاعر على مدينته الحبيبة الإسكندرية، فيصف حسنها وشواطئها الجميلة المنسقة التي تسر الزائرين ويشير إلى موجها وصخورها ويشيد بحسناواتها اللواتي هن أشد فطنة وملاحة من غيرهن، فهن أولى بحب طاهر يلهم الشعراء :

خليلَـــــيَّ هـــــذا ثغرنـــــا وجمالـــــه يفـــوق الصـــحارى فتنـــةً للنـــواظر
ولـــيلاه أحلـــى.. فطنـــةً، وملاحـــةً وأوْلَـــى بحُـــبٍّ يلهـــم الشـــعرَ.. طـــاهرِ
فعُوجـــا علـــى شـــط جميـــل منســـقٍ يُسَّـــرُّ بمـــرأي حســـنه كـــلُّ زائـــرِ
هنالـك عنـد الصـخر والمـوج فـانظرا لعـل رسـولا مـن «بثينـةَ» نـاظري!

❁❁❁

الإسكندرية في شعر " فؤاد طمان "

ولد الشاعر فؤاد طمان في الجيزة في ٣ ديسمبر ١٩٤٣ وبعد ميلاده بعامين انتقل مع أسرته للإسكندرية التى قضى فيها طفولته وصباه وشبابه ولم يزل يعيش بها حتى الآن. وقد عرف بأنه من عشاقها. وتتجلى الإسكندرية في شعره تجلياً خاصاً مدهشاً.. وهي في قصائده ليست مجرد مدينة جميلة يجعلها موضوعاً للوصف والثناء.. بل إنها دون مراء عالمه الذي يعيش ويبدع فيه ويسبر غوره ويصوره ويحتفي به ويهنأ به ويبكيه، وينطلق منه إلى العالم بكل رحابته.

فهو لا يصف المدينة من الخارج فقط بل يغوص إلى أعماقها.. أعماق واقعها وتاريخها وسكانها ويجسد في شعره أفراحها وأحزانها وأحلامها ومآسيها.. وذلك كله من خلال مشاعره هو ورؤيته ورؤياه. فهو يمزج بين الخاص والعام ببراعة فنية.. يتحدث عن نفسه وعن مدينته من خلال سيمفونية متضافرة زاخرة بالمشاعر بحيث لا يمكن الفصل بين المدينة والشاعر.. فهو شاعر المدينة، ينطبق عليه وصف الروائي الإنجليزي لورانس داريل [١] لكفافيس[٢] : « روح

---

(١) لورانس داريل روائي بريطاني شهير، عاش ردحا من حياته في الإسكندرية وعاصر فيه الشاعر كفافيس وكتب عنه في روايته المعروفة « رباعية الإسكندرية ».

(٢) قسطنطين بيتروس كفافيس شاعر الإسكندرية الشهير اليوناني الأصل (أبريل ١٨٦٣ – إبريل ١٩٣٣) ولد بمدينة الإسكندرية وعاش وأبدع ودفن فيها، كتب شعره باليونانية وترجمت أعماله للغات العالم. ولازال بيته الأخير قائماً بالإسكندرية وقد تحول إلى متحف يحمل اسمه. وأطلق اسم كافيس مؤخرا(عام ٢٠١٠) على الشارع القائم به ذلك البيت بقلب المدنية. وقد احتل مكانة بارزة في الشعر اليوناني الحديث والشعر العالمي وفي الحياة الثقافية المصرية [انظر فؤاد طمان الأعمال الشعرية المجلد الأول، الطبعة الأولى (٢٠٠٥)، الناشر دار السفير هوامش ديوان « بكائية على البحر » صـ٣١٠، ٣١١، = =د/محمد حمدي إبراهيم : قسطنطين كفافيس – الطبعة الأولى (١٩٩٢) ص (١) وما بعدها، د/ نعيم

الإسكندرية النابض ». وفي هذا يقول الشاعر الكبير أحمد عبدالمعطي حجازي: "فؤاد طمان شاعر سكندري بالمعنى الكامل للكلمة فالإسكندرية بالنسبة له ليست مجرد بلد أو محل إقامة وإنما هى ملهمته أيضاً وموضوع شعره . إنه مقيم فيها وهى مقيمة فيه"(١).

**في قصيدته « بكائية على البحر » (٢) يصف الشاعر الإسكندرية وقت كتابتها على النحو الآتي :

المدينة من بداية الليل نائمة ساكنة، والمقاهي التي يجتمع فيها الشعراء خاوية بما فيها مقهى « إيليت » الشهير الذي كان الشعراء والفنانون يلتقون به، والشاعر الذي يصف نفسه بأنه كائن ليلى، لا يعرف أين يذهب في هذه المساءات الخاوية وفي هذه الغربة التي تطبق عليه. يقول الشاعر :

كـــان « إيليـــت » يغلـــق أبوابَـــهُ..

والمدينـــةُ مـــن أول الليـــل نائمـــةٌ..

والمقـــاهي التـــي يلتقـــي الشـــعراء بهـــا

فـــي ليـــالي الشـــتاء المطيـــرة، خاويـــةٌ..

وأنـــا للمســـاءات منتســـبٌ..

فـإلى أيـن أذهـب فـي هـذه الغربـة الواسـعةُ ؟!

عطية – ديوان كفافيس شاعر الإسكندرية – الترجمة الكاملة عن اليونانية – الطبعة الثالثة (١٩٩٥) صـ٥ وما بعدها .

(١) مقال بجريدة الأهرام – العدد الصادر فى ٢٠١٠/٨/١١م.

(٢) قصائد من فؤاد طمان (مختارات) – الطبعة الأولى (٢٠١٠) – الناشر : دار السفير صـ٢٦ وما بعدها .

– والشاعر يرى البحر مجللا بالسواد فهو ليس أزرقَ ولا فيروزيا. وأطياف أصدقائه الشعراء الراحلين تعبر المدينة الموحشة الحزينة ثم تغيب في الظلام الأبدي.. والبحر لم ينجز وعده.. وما ظل الشاعر وصحبه ينتظرونه في رحلة العمر هو محض سراب.. لقد أصبحت المدينة أطلالا.. أمست موحشة على غير عادتها (بعد أن كانت مدينة الجمال والفرح والبهجة والحضارة..) عشاقها رحلوا.. ومن بقى منهم راح يذرع أرصفة البحر (حيث الفنار القديم) دون جدوى، وينتظر أحلاما لا تتحقق وطيفاً لن يعود على السفن التى يترقب عودتها. لقد أصبح الشاعر يمشي وحده في هذا الغياب:

سِـرْتُ وحـديَ.. والبحـر أسـودُ.. أسـودُ..

قابلت أصحابيَ الشعراءَ المساكينَ طيفاً فطيفاً..

يَمُـرُّونَ.. ثـم يغيبـون فـي الظلمـة الأبديـةِ..

يـا أيهـا البحـرُ أيـن الـذي قـد وعـدتّ بـهِ ؟!

أيـــن هـــذا الـــذي نفتديـــهِ بأيامنـــا ؟!

أمـــــــسِ كـــــــان طَلْـــــــولاً..

وقلـبُ المدينـةِ كـان علـى غيـر عادتـه موحشـاً..

موحشـــاً ســـيظلُّ ! فقـــد رحـــل العاشـــقونَ..

ومـن لـم يسافرْ،مشـى وحـدَهُ«للفنـار»القـديمِ..

هنالـــــك يـــــذرعُ أرصـــــفةَ البحـــــرِ..

منتظـــــراً طيـــــفَ مـــــن لـــــن يعـــــودَ

علـــــــى الســـــــفنِ الراجعَـــــــةْ !

يقول الشاعر إنه لم يعد في الإسكندرية غير صديق تقتله الوحدة، (ولعله يتحدث عن نفسه) ومحبوبة من زمان الطفولة، وظل الشاعر اليوناني السكندري الكبير «كفافيس» الحائر الذي يتردد ما بين قلب المدينة والسفن القابعة في الميناء تتهيأ للسفر، (فى إشارة إلى تفكير كفافيس العارض فى الهجرة من الإسكندرية التى لم يحقق فيها آماله) وهو سفر لا يؤدى إلى الفردوس، بل لشاطيء السراب حيث عوالم أخرى لا جدوى منها وليست أفضل من الإسكندرية في شيء.. والشاعر هنا يشير إلى قصيدة شهيرة لقسطنطين كفافيس هي قصيدته « المدينة » وفيها يقول مخاطباً نفسه :

« قلت سأذهب إلى أرض أخرى.. سأذهب إلى بحر آخر.. مدينة أخرى ستوجد أفضل من هذه.. لكن محاولاتي مقضى عليها بالفشل.. فقلبي مدفون هنا.. لن تجد بلداً ولا بحاراً أخرى.. ستلاحقك هذه المدينة (الإسكندرية) وستهيم في الشوارع ذاتها.. وستدركك الشيخوخة في هذه الأحياء بعينها.. ستصل على الدوام إلى هذه المدينة.. لا تأمل في بقاع أخرى.. ما من سفن من أجلك وما من سبيل .... إلخ »[1].

هذا ما رآه فؤاد طمان في المقطع الأخير من قصيدته :

لـــم يعـــد غيـــر هـــذا الصـــديق الوحيـــدِ..

وظـــــلِّ « كفـــــافي » الـــــذي يتـــــأرجحُ

(١) انظر : فؤاد طمان : الأعمال الشعرية (المرجع السابق) – هوامش ديوان « بكائية على البحر » صـ٣١١، د : محمد حمدي إبراهيم : المرجع السابق صـ١ وما بعدها، د: نعيم عطية : المرجع السابق صـ٥ وما بعدها، أحمد عبد المعطي حجازي – مدن الآخرين (مختارات شعرية مترجمة للعربية) – الناشر الهيئة العامة لقصور الثقافة – الطبعة الأولى (١٩٩٥) – سلسلة : آفاق الترجمة.

بين المدينـةِ، والسفن المبحرات لشطَ السرابِ !

ونـــــــــــــــــورٍ شـــــــــــــــفيفٍ،

علـــى وجـــه محبوبـــةٍ مـــن زمـــانِ الطفولـــةِ،

مغســـــــــــــــولةٍ بـــــــــــــــالعبيرِ..

لهـــــــــا الـــــــــــوردُ عـــــــــــرشٌ..

لهـــــا نظـــــرةٌ عذبـــــةٌ ضـــــارعَهْ !

** وفي ذات السيمفونية يعزف الشاعر لحناً آخر لمدينته الإسكندرية.. لحناً حزيناً.. كاشفاً عن مأساة المدينة.. ولكنه لا يخلو من الأمل.. بل واليقين بأن الملكة الغائبة سوف تطل من جديد علينا في أبهى صورها منتصبة بقامتها السامقة. ذلك اللحن يتمثل في قصيدته « ما أبقت الريح »[(١)] التي يستهلها بوصف شرفة بيته السكندري التي تستضيف وهج الشمس وتطل على البحر وتراودها أسراب الطيور الشاطئية وتغمرها الزهور الشذية التي تبعث الأمل في النفوس، ثم يعطي لوحته التي ملأها بعناصر الجمال المادي بعداً روحياً عاطفياً حيث يعبر فيها دائماً طيف ما في الصباح لا يخلف وعده :

لِشُرْفتنا – المستضيفةِ للوَهَجِ البرتقاليِّ، والبحرِ

ســـربٌ يراودهـــا مـــن طيـــورِ الشـــطوطِ..

وطيـــــفٌ يَلُـــــوحُ علـــــى الأفْـــــقِ،

لا يُخْلِـــــفُ الوعـــــدَ كـــــلَّ صـــــباحٍ..

---

(١) فؤاد طمان : البحر وقصائد أخرى (مختارات) الطبعة الأولى (٢٠٠٩) الناشر : دار أرابيسك صـ٦٣.

وزَهْرِيَّــةٌ مــن شــذاها ترفــرف شــمسُ الفتــى الطالعَــــــــــــــــــــــــــــــــهْ..

ثم ينتقل الشاعر من اللوحة التي زخرت بعناصر الجمال إلى مأساة المدينة حيث يعم الظلام وتسأله طفلته المذعورة عما تبقى لهما الآن فيها، فعربات اللصوص أو الغاصبين تصوب بنادقها نحوهما، حاملة أشياءهما المنهوبة وكنوز المدينة المسلوبة :

ولي طفلةٌ كلما أوغل الليلُ تسألُني :
« يا أبي ما الذي نملكُ الآنَ ؟
هذي هي العربات التي تترصدنا فُوَّهاتُ بنادقها
تَحْمِلُ الآن أشياءَنا..
وكنوزَ مدينتِنا الضائعَه »

ولكن الشاعر يحصى ما تبقى في المدينة ولا يستسلم لليأس والكآبة، فلا زالت المدينة والشاعر يمتلكان ما يمكنهما من المقاومة والصمود.. إن المدينة غنية بتراثها وعناصر بقائها ومقومات تحقيق أحلامها رغم الظلام المحدق بها :

هو الليل يهبط مثل النوارسِ،
حين ترى صَيْدَها في المياهِ..
فتنقَضُّ في عنفوان الفُجاءةِ،وَحْشيَّةً.. جائعَةْ..
ولكنني أملكُ الآن حُلْما يراودُني..
ومنارا تهدَّمَ أوكادَ،
ينبعث الضوءُ منهُ،
قليلاً.. ولكنه سوف يكفي الزوارقَ حتى تئوبَ
وما زلتُ أملكُ سِفْرِي المُقَدَّسَ..
سِفْرِي الموزَّعَ
ما بين طيَّاتِ قلبي، وأروقةِ السِّرِّ..
تلك التي تختفي في بيوت المدينةِ..
أو في مغاراتها الشاسعَةْ !
ولي الموجُ.. والزَّبَدُ المتقافزُ..
والطائرُ الأبيض المتنقِّلُ ما بين شرفةِ « وأنْلِي»
وأرجوحةِ الزُّرقْةِ الساطعَةْ..

وما زال لي أَلَقُ البَدْءِ والوعدِ..
والنُّصُبُ المرمريُّ المُقدّسُ..
وامرأةٌ عرشُها في السَّديمِ،
تتابعُ خطوىَ في الليلِ ،
في طرقات الشمالِ الحزينِ
النسائمُ قادمةٌ من شطوط المحالِ..
وهذا هو البحرُ
ينشد أنشودةَ الحُبِّ للمرأة الرائعَةْ..

إن للمدينة برغم كل شيء حراساً مخلصين صادقين.. إن ضياءً ينبثق من قبلهم.. ومهما كان محدوداً فسوف يرشد السفن لمواني الوصول.. إن المدينة غنية بتاريخها المجيد وأبطالها الذين لا يبخلون عليها بأرواحهم ولها مثقفوها الأفذاذ الشجعان من مفكرين وفنانين وشعراء، ولها تراثها.. المليء بالأسرار.. ومن شأن هذا كله أن يبعث المليكة الراقدة :

ضياءٌ يمرُّ لهذا الظلام البهيمِ،
خلال نوافذِ حُرَّاسها المجهدينَ،
قليلاً..ولكنه سوف يكفي ليرشدَنا لمواني الوصولِ..
سألْقَى على الغيم أصحابيَ الشهداءَ..
سألقى «كفافِسَ» يمشي الهوينى صباحا لبوابة البحرِ..
مختتما لحنَه في الطريق: «ستبقى هنا،لا مواني أخرى» !
سأَلْقَى على الموجِ أصحابيَ الشعراءَ المغاويرَ..
والحُورَ فوق « الدلافين » في الماءِ،
يُخْفِينَ في الصَّدَفاتِ التمائمَ..
حتى تطلَّ علينا المليكةُ من خدرِها،
بوشاح اليواقيتِ، والقامةِ الفارعَةْ..

** وفي قصيدته « رسالة إلى المنفي »[1] التي أهداها الشاعر فؤاد طمان لصديقه الشاعر العراقي المعروف « سَعْدِى يوسف » الذي يعيش في منفاه الاختياري بإنجلترا، يقول له : إنهما قد فقدا بلادهما التي يعشقانها وها هما يبكيان البصرة (التي ولد سعدى في إحدى قراها) ويبكيان بغداد عاصمة بلاده التي احتلها

(١) ديوان « نبيذ الآلهة » – الناشر دار السفير – الطبعة الأولى (٢٠٠٨) صـ٥ وما بعدها.

الأمريكيون ويُشبهها بامرأة معصوبة العينين يسوقها الغزاة في طابور الأسرى، ويبكيان الإسكندرية مدينة – فؤاد طمان – مدينة الحضارة والتاريخ والمجد التي يراها الآن متخلفة غارقة في قاع البحر !!.

كما يبكيان حبيبتيهما اللتين أبعدتهما رياح الحياة عنهما، ويبكيان الوحدة العربية التي بدأت بمصر وسوريا عام ١٩٥٨ وانتهت بانقلاب عسكري عام ١٩٦١.. وهكذا فقد الشاعران بلادهما وأحلامهما العاطفية والوطنية معاً !!

نعم سعدى..
فقدناها بلادا كنتَ تهواها وأهواها ..
على جَنَّاتنا الوردية الأحلام ألف سلامْ
بكينا نازفيْنِ "البصرةَ " الغَنَّاءَ،
وهى تغوص فى بحر الدماءِ ، ونحن فى المنفى ..
" وبغدادَ " الهوى ، المعصوبة العينين،
فى طابور أسرى الحربِ ..
بغدادَ التى كانت كوجه الشمس أو أزهى ..
بكيناها معاً ..
وحبيبتين الريحُ أقصتنا بعيدا عنهما
غِبَّ الشبابِ الغَضِّ..
والإسكندرية ، ملتقى الأرباب والأحبابِ ،
غارقةً بقاع البحرِ ..
والبنتَ التى هِمْنا بها،
حتى رأينا رأسها المقطوع ، فوق حراب جندِ الشامْ !!
على جناتنا الوردية الأحلام ألف سلامْ !

۞۞۞

ويقول فؤاد طمان إنه وسعدى يوسف اللذين فقدا بلادهما وأحلامهما الوردية لم يعد أمامهما سوى أن يقضيا ما تبقى من عمرهما في المنفى ! فإذا كان منفى « سعدى » هو انجلترا البعيدة فمنفى طمان هو وطنه نفسه أو كهفه المخبوء في ذلك الوطن :

سنقطع ما تبقى من فصول العمر في المنفى .
أنا فى كهفى المخبوءِ فى وطنى !

وأنت على روابٍ فى الشمال .. ألخ

هكذا أصبح طمان يرى مدينته الجميلة الخالدة التي يعشقها وقد انتهت أمجادُها وصارت غريقة في قاع البحر بعد أن كانت ملتقى الأرباب والأحباب وصارت هي ذاتها منفاه !!.

ولكن ثقة الشاعر في المدينة الخالدة تجعله في نهاية القصيدة على يقين –رغم تبدد الحلم– من أن المدينة سوف تبعث من جديد وأن هذا البعث محتم فهى كالنجم المختفي وراء الغمام العابر، إمّا عبر هذا الغمام انجلى النجم الباقي على الزمان وتجلى ضوؤُه الباهر :

تبدد حلمنا الورديُّ..
لكنا نعود كما تعود الريحُ !
لن نخشى النهايات المطلة قد سبرنا الغورَ
قلبانا على الخوف القديم استعصيا
وتكشفت حُجب الغيوب
الشمس تغفو فى خنادقنا الأخيرة
والقيامة وعدنا الخافى كنجم من وراء غمامْ !

** أما قصيدة « البحر » للشاعر فؤاد طمان التي يمزج فيها الخاص بالعام والتي يجمع فيها بين ذكرياته الخاصة وتأملاته في البحر والمدينة والحياة؛ فتطل منها الإسكندرية بصورة تلقائية.. ولا غرابة في هذا فهي مسرح ذكرياته وملعب طفولته وصباه وشبابه وفيها حبيبته وبيته المطل على البحر بلوحاته الخالدة :

طفل هذي الشطوط الحزينُ أنا
..
شطرت في الصِّبا القلبَ فاتنةٌ
من زمان الصِّبا تنتحبْ
لا أزال أراها بعيدا.. بعيدا..
وراء الحجبْ !

إن المنارات التي تنتصب على موانى الإسكندرية وشواطئها لتهدي السفن والزوارق تبعث فيه الأمان.. والصخور التي نراها على شطوط المدينة مكسوة بالطحالب الخضراء الجميلة توقظ قلبه ، والبحر يشعل جذوته عندما تخمد ، ويُعيد إليه الحياةَ صوتُ المد والجزر تحت نوافذ بيته القديم .. إنه بمثابة موسيقى ساحرة عندما تعزف تفيض أشواقه وتأتيه ربة الشعر لتلهمه قصائده.. إن الشاعر مغرم بالبحر والشواطئ والأصداف المتناثرة على رمالها حيث بدأ حياته أو حيث بدأ الأزل.. إنه مولع بامرأة : حبيبة كانت، أو مليكة يتجسد فيها الوطن أو مدينته الخالدة.. إنه يراها لامعه كالبروق.. يظهر له طيفها دائمًا مارا على الغيمات.. وهو باق على شطوط هذه المدينة التي يعشقها إلى أن يرحل مع أمواجها :

المنارات تعويذتي الواعدةْ ..
واخضرار الصخور على مطلع البحرِ
يوقظ قلبىَ ..
يشعل جذوتىَ الخامدَةْ ..
عَزَفَ المد والجزرُ
تحت نوافذ بيتى القديم ..
ففاض الحنينُ .. وهَمَّتَ بىَ الربّةُ الخالدةْ !
مغرمٌ أنا بالماءِ ، والرملِ ،
والصدفِ المتناثر فى شاطئ البدءِ ،
وامرأةٍ كالبروق تمرُّ على الغيمة الشاردةْ !
.....
جئتُ من موجةٍ
لأطارح محبوبتى الحُب ليلاً
وأنجب منها بحارا من النورِ
ثم ألقنها السرَّ !
أمنحها فى سرير الغرام اعترافيَ واسمىَ ..
ثم أغيب مع الموج فى ليلة راعدةْ !

** ولأن الإسكندرية معشوقة الشاعر، وهي جزء من وطنه مصر فهو مهموم بهمومها.. يتابع واقعها.. ويستبد به القلق عليها.. ويشغله مصيرها.. يبين ذلك جليا في قصيدته الرائعة : في الليل أمتلك المدينة :

في المقطع الأول يتحدث عن انقلاب إجتماعي وسياسى في المدينة.. فأبناء العبيد المجلوبين (أبناء المماليك) قد أصبحوا فجأة ملوك المدينة.. يدخلون مدينته الغالية وسيوفهم مشرعة ويعودون من طرقها بالغنائم في الغروب حيث يحصون المال المنهوب (الحرام) ولآليً المدينة النفيسة المسروقة ثم يلتفون بعد ذلك حول موائد الخمر حيث أصبح السُّكْرُ مباحا لهم.. وهم رغم ما يفعلون يشعرون بالأمان وينامون مطمئنين تاركين للشاعر في الليل مدينته المنهوبة فيكاد ينتابه الجنون مما يحيق بمدينته التي يرمز بها بطبيعة الحال لبلاده كلها إذ ينالها ما ينال مدينته :

في شهقة الضوء الأخيرِ
يعود أبناء المماليكِ ،
الذين غَدَوْا ملوكا فجأةً ..
يأتون من طرق المدينة بالغنائم .. يغمدون سيوفَهم ..
يحصون ما جمعوا من المال الحرامِ ،
ومن لآلئنا النفيسةِ ..
ثم يلتَفُّون حول موائد السُّكْرِ المباحِ ..
فليس يقلقهم عويل الريحِ ..
قد أمنوا وناموا ،
تاركين ليّ المدينة والجنونْ !

وبعد أن يأوي اللصوص والقتلة إلى ثكناتهم في الليل يصحو الشاعر وصحبه فهم في النهار لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً في مواجهة هؤلاء الأوغاد المسلحين (الذي يمتلكون وحدهم القوة) أما في الليل فالمدينة خالية منهم فيعود أهلها لامتلاكها فيذرعون الكورنيش وينعمون بهواء البحر وبالطمأنينة المؤقتة وينتظر الشاعر أحباءه ليمروا معاعلى الدهاليز الخفية للمدينة التي يعرفونها جيداً لأنهم أبناؤها المحبون البررة العاكفون على أسرارها والحريصون على إخفاء تلك الأسرار وما خلف أبوابها السرية من كنوز وإمكانات.

وفي ختام القصيدة يخاطب الشاعر مدينته ويرمز لها بجنية الزمن الجميل الماضى ويهيب بها أن تهب وتنهض وتأتي إليه بوشاحها المسحور تحت جناح الظلام فهي ليست وهما بل هي حق مؤكد.. وهو يقف على بابها منذ وقت طويل ينتظر أن تفيق وتهب لتستعيد قوتها ومكانتها .. ولكنها تغط في نومها العميق.. فلا تنهض.. بينما الشاعر يرهقه الإنتظار ويتملكه اليأس ويمر الزمن دون جدوي حتى يشك في قدرة مليكته على النهوض أو يظن بها الظنون :

في الليل أمتلك المدينةَ
أذرع " الكورنيش" ، ينعشنى هواءُ البحرِ ..
أنتظر الأحبة عند أعمدة المصابيح المضيئةِ ..
نطمئن على الدهاليز التى
تفضي إلى أسرارها الأُولى ..
ونخفى ما بدا من بابها السرىِّ ،
حتى لا تلاحظهُ العيونْ !
يا أنتِ .. ياجنيَّةَ الزمن الجميلِ ..
تَدَثَّرِىَ بوشاحكِ السحرىِّ ..
وائتيى إذا ران الظلامُ ..
فأنتِ حَقٌّ .. أنت حَقٌّ ..
إننى بالباب من زمنٍ ..
تدلىَّ ساعِدِي !
وتقوّسَ الظهرُ الحمولُ !
ودبّ فى شَعرى المشيبُ ..
وظن قلبي بالتى لم تنجز الوعدَ الظنونْ !

❁❁❁

وكما يقول أحمد عبدالمعطي حجازي بحق فإن «شعر فؤاد طمان يدور حول الإسكندرية، فإن ابتعد عنها عاد إليها ملهوفا يفيض بحنين عذب لما كانت عليه وحزن أسيف لما آلت إليه . وخاصة فى قصائده الأخيرة التى تبدو وكأنها مرثيات أو وقفات على الأطلال . فى قصيدته التى سَمَّاها: زرقة مبتلة بالنور يقول لمن أهدى لها القصيدة:

عندما كنتُ فى مثل سِنِّكِ

كنتُ أنا حارسَ الليل والبحر
أخرجُ مبتهجا فى العراءِ
إلى أن يضيع الرفاقُ
فأبقى وحيدا تعذبني الظلمة الحالكةْ ..
عندما كنت فى مثل سِنّكِ
كنتُ أخوضُ الظهيرةَ مستمسكا بوعود النهار المنوَّرِ
من بعدها ضاع منى الطريقُ
وقد خَلَت الأرض من أهلها
واختفت فى رمال الصحارى
المدينةُ والحرسُ المُرتَجَى
وسقطت وحيداً على مدخل القلعة المتهاوى
وأدمى يدى سُور أسلاكها الشائكةْ
كم خرجتُ إلى موعد كاذبٍ
ضَرَبَتْهُ المليكةُ لي فى الظهيرةِ
حتى أفقتُ على لَسْع جمرتِها
بعدها كان لابد أن أجد الزمن المستحيلَ
وأسبرَ غَوْرَ ممالكنا الهالكةْ

هكذا انتهى بالشاعر وقوفه على أطلال المدينة التى اختفت فى رمال الصحراء ، إلى أن يبحر فى تاريخها ويسبر أغواره، ويسأله عما يخبئه فى الأيام القادمة : موعد كاذب آخر أم فجر جديد؟ :

يقول:
عندما اشتعل الرأسُ شيباً،
عثرت على الزرقة الناعمةْ ..
كالغصون الرطيبةِ ..
مبتلةً بالندى ..
وبضوء شفيف من الفجرِ ..

آتٍ ليسبقنى والطيورَ ..
ويقتحم الظلمة الأزليةَ ..
آتٍ ليقتحم الظلمة القادمةْ ! » [١]

❁❁❁

(١) أحمدعبدالمعطى حجازي – المقال المنشور بجريدة الأهرام السابق الإشارة إليه.

الإسكندرية في شعر خليل شيبوب

– ولد خليل شيبوب باللاذقية بسورية في١٨٩٢/١/٢٨، وقدم منها إلى الإسكندرية عام ١٩٠٨ ، حيث عاش فيها سنوات عمره، وحصل على ليسانس الحقوق من مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة، ورحل في ١٩٥١/٢/٣.

وفي الإسكندرية كتب الشعر وصار نجماً من نجومه وتألق في حياة الإسكندرية الثقافية، وأصدر ديوانه الفجر الأول عام ١٩٢١ الذي يضم تسعين قصيدة تشمل ما كتبه بين عامي ١٩١٢ و١٩٢٠. وقد قدم ديوانه أمير الشعراء أحمد شوقي والشاعر الكبير خليل مطران كما كتب شيبوب تمهيداً للديوان[١]وقد وافته المنية قبل أن يصدر ديوانه الثاني « أحلام النهار » الذي كان قد علق على جميع قصائده وأتم مراجعتها.

وجدير بالذكر أن شيبوب كان من الشعراء المجددين ، وهو الذى كتب قصيدة " الشراع " التي تعتبر من إرهاصات الشعر الحر الجديد، وقد نشرت في مجلة «أبولو» – عدد نوفمبر ١٩٣٢ . تحت عنوان « شعر مطلق ». وعرف شيبوب هذا اللون الجديد في هامش القصيدة مقرراً أنه يحافظ فيه على الوزن وأن أصحاب هذا المذهب اختلفوا في إبقاء القافية أو عدم الالتزام بها وأنه آثر بقاءها في هذه القصيدة [٢].

(١) انظر : موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر – د : يوسف نوفل– الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى (٢٠٠٥) صـ٧١٤ ، شعراء معاصرون – المجلس الثقافي البريطاني بالإسكندرية – الطبعة الأولى ١٩٩٧ صـ٢.

(٢) تجليات الإسكندرية في الشعر الحديث – أحمد شلبي : صـ٥٢ حيث أورد مقطعاً من هذه القصيدة يدلل على هذا اللون من التجديد (الذي لم يصبح تياراً في الشعر العربي إلا في بداية الخمسينيات من القرن العشرين بعد أن نشرت اعتباراً من سنة١٩٤٧ تجارب=

تطـل الإسـكندرية مـن قصـائد كثيـرة لشـيبوب، ولعـل أشـهرها قصـيدة «الإسكندرية » التـي يصـفها فيها بالحبيبـة، وبـالأم، وبعروس الشرق.. وفيها يشيد بجمالها الذي يسبي القلوب :

هــــواكِ بصــــــدري حــــادثٌ وقــــديمُ   وعهـــدكِ عهـــدي راحـــلٌ ومقـــيمُ
وأنـــتِ كمـــا شــــاء الجمـــال حبيبـــةٌ   وأمٌ كمـــا شــــاء الحنـــان رءوم
وأنــتِ عــروسُ الشــرقِ حســنا وبهجــةً   عليـــك قلـــوب الخـــاطبين تحـــومُ

= نازك الملائكة وبدر شاكر السياب في العراق وعبد الرحمن الشرقاوي ثم صلاح عبد الصبور في مصر). يقول خليل شيبوب في « الشراع » :

هدأ البحر رحيبا يملأ
وصفا الأفْق ومالت شمسُه
وبدا فيه شراعٌ
كخيال من بعيد يتمشّى
في بساط مائجٍ من نَسْج
أو حَمامٍ لم يجد في
فهو في خوف ورعبِ..

– قاموس الأدب العربي الحديث – إعداد الدكتور حمدي السكوت وآخرين – الناشر : دار الشروق – ط : أولى صـ١٩٩٦، ١٩٩٧ حيث ورد به مقال الدكتور علي عشري زايد عن شيبوب الذي يقول فيه إن خليلا كان يحرر الصفحة الأدبية في جريدة البصير السكندرية وأنه أنشأ جماعة نشر الثقافة. وأنه يُعَدُّ من الرواد الأوائل في كتابة الشعر الحر.

ويتحدث شيبوب عن حضارة الإسكندرية.. وفنونها، وتاريخها المجيد وكيف طلعت على التاريخ كالشمس فأنارته وبددت ظلامه وملأته بالعلم والفلسفة والفن:

وللفن في مغناكِ مسرًى ومسرحٌ ومغناك بالحسن التمام عميمُ

أمطلقة الأقمار في أفق العلى بنوك شموسٌ في العُلى ونجوم

طلعت على التاريخ شمسا تنيره وليل الحجى بالمهمهات بهيم

فلو نطقت فيك الحجارة حَدَّثت عن المجد مرفوع اللواء عظيم

ثم يتحدث عن الإسكندر باعتباره بانيها الذي نأي عنها ثم عاد إليها ليدفن فيها ويشير إلى السر الذي لم يكشف بعد وهو مكان قبره فيها :

نأي عنكِ بانيكِ العظيمُ فرَدَّهُ لكِ الشوقُ ميتًا فهو فيكِ رميمُ

ولكن غدَا سرًّا بأرضِكِ رمسُهُ كذلك سِرُّ الغانياتِ صميم[1]

وهذا ختام طريف للقصيدة.. فالإسكندرية – مثل الغانيات الجميلات لا بد لها من أسرار لا يعرفها أحد !

– وفي قصيدته « شواطئ الإسكندرية » التي يصف فيها تلك الشواطئ ويشيد بجمالها وبهجتها وبحرها وحسانها يقول إن الإسكندرية قد جعلته ينسي وطنه الأول (سورية). ورغم أنها الوطن الثاني إلا أنها أصبحت أحب الأوطان إليه لأن فيها حبيبه ! :

يقول شيبوب :

(١) من « ديوان الإسكندرية » الصادر عن جماعة نشر الثقافة، أخرجه وكتب مقدمته واختار قصائده على محمد البحراوي – الطبعة الأولى ١٩٣٥ صـ٥٨.

فيـــكِ المَصـــيفُ لعاشـــق وَلْهـــانِ متقـــيِّلاً فـــي ظِلَّـــكِ الفَيْنـــانِ
يـــا مَرْبَعـــي دون المرابـــع إننـــي صَـبُّ الشـواطئ.. والـهٌ بـكِ عـاني
أنســـيتِني وطنـــي البعيـــد.. وإنمـــا هـــو أوّلٌ عنـــدي وأنـــت الثـــاني
لكنمـــا فيـــك الحبيـــبُ.. وإنمـــا وطـن الحبيـب أحـب مـن أوطـاني !

أسس شيبوب جماعة نشر الثقافة بالمدينة مع نخبة من أُدبائها وكان أول رئيس لها وكان ينشر قصائده في كبريات المجلات الأدبية مثل « أبولو » والرسالة وكان يخاطب المدينة التي أحبها كما يخاطب الأخ والرفيق، فيشكو ويبكي بين يديها :

كـم جلسـةً لـي فيـكِ وحـدي شـاكيا كشـــكاية الإخـــوان للإخـــوانِ
أبكـــي بكـــاءَ الطفـــلِ حتـــى ينتهـــي دمـــعٌ.. بـــه يتقـــرّحُ الجفنـــان
والصـبرُ أجمـلُ مـا اسـتفاد القلـبُ إن نشـــط القضـــاء إليـــه بالحَـــدَثانِ

ثم يصف بحرها وجلاله وفتنته ويشبه قلبه المضطرب بصفحة الماء الخفاقة :

البحـــرُ مبســـوطَ الأديـــمِ كأنـــهُ صـــدرٌ أليـــفُ مســـرةٍ وأمـــانِ
والـــريح لينـــة المهـــب.. لطيفـــةٌ كتنهـــدات الـــمُوجَع الحزنـــانِ
العـــين يأخـــذها الجـــلالُ كأنهـــا شـهدت هبـوط هـدىً ووحـي جِنـانِ
يـــا بحـــر والأمـــواج فيـــك تـــدافعت قلبـــي كمائـــك دائـــم الخفقـــان

ثم يتحدث عن شواطئ البحر التي تخطر بها الحسان وتولد عليها قصص الحب والهيام، ويصف خيام المصطافين المرتبة كأنها حبات العقد، والفتيات اللواتي يمرحن على الرمال والصخور واللواتي اغتنى البحر بالكنوز إذ ضَمَّتْهُنَّ أمواجُه يخاطب بحر الإسكندرية قائلا :

هذى شواطئكَ الطويلةُ إنها ... مسرى الغرام ومسرح الغُزْلان
نصبوا بها خِيَمَ المصيفِ.. صفوفها ... متسلسلات مثل عُقْدِ جُمان
أنتَ الرياض جَنِيَّة قد أبدعت ... زهرا يغاير زهر كل جنانِ
الواقفاتُ : جسومهن هيا كلٌ ... أخشى بهن عبادة الأوثان !
والماشياتُ : بطيئةٌ مياسةٌ ... أعطافُهنَّ، نواعم الأبدانِ
والجالسات على الصخور زواهر ... مثل الرياض قطوفُهنَّ دواني
شجرُ الحياة على الرمال ثمارُهنَّ ... أطايبُ التفاح والرمان
أنتَ الغنيُّ وقد حويتَ جواهرا ... فاقت كنوزَ الدر والمرجان
هذي عرائسك الجميلةُ.. إنها ... مشمولة بالحسن والإحسان
متلاعبات في مياهك مثلما ... لعبت حُمَيَّا الكأس بالسكرانِ
يخرجن منك مكللات لؤلؤا ... كالزهر غبّ العارض الهَتَّانِ !

ويستطرد الشاعر مخاطبا البحر، متحدثا عن فتاته التي عشقها قلبه ويصف جمالها وكأنها ملاك يمشي على الأرض :

وتضئُ فيكَ « سعادُ » شمساً : برجها قلبـــي وقلبُـــكَ، إننـــا أخَـــوان
الشَّـــعر فـــيضُ أشـــعةٍ ذَهَبيَّـــةٍ والجســـم فـــيض النـــور واللمعـــانِ
ومضـت « سـعادُ » كأنهـا مَلَـكٌ مشـى فـــي الخالـــدين الحـــور والولـــدان
يـــا منيتـــي وحبيبتـــي ماضـــرَّ لـــو ســـرنا كمـــا يتســـاير الإلْفـــانِ
متســـاقيين غرامَنـــا بلحاظنـــا متخاصِـــرَيْنِ كأننـــا غصـــنان

وفـي ختـام القصـيدة يخاطـب البحـر مستخلصـا سـر رحلـة الحيـاة والوجـود بنظرة الفيلسوف المتأمل :

أمـــا الحيـــاةُ وأنـــت رمـــز وجودهـــا فلهـــا إليـــكَ جـــواذبٌ ومَعـــانِ
يـــابحر زد وانقـــص.. فإنـــك مثلهـــا فـــانٍ.. ومثلـــك كـــل شـــيء فـــانِ !

❁❁❁

الإسكندرية في شعر صالح جودت

– صالح جودت واحد من شعراء جماعة « أبولو »، ولد بمدينة الزقازيق في ١٢ ديسمبر ١٩١٢، ثم انتقل مع أسرته للقاهرة حيث أنهي دراسته الإبتدائية بها، ثم للمنصورة حيث أنهى دراسته الثانوية بها، وفيها تعرف على ثلاثة من أعلام مدرسة « أبولو » وهم : إبراهيم ناجي وعلي محمود طه ومحمد عبد المعطي الهمشري. تخرج في كلية التجارة جامعة القاهرة، وعمل ببنك مصر، ثم بالصحافة محرراً بالأهرام فدار الهلال التي أصبح رئيسا لمجس إدارتها، ورحل عام ١٩٧٦. وقد أصدر في حياته عدة دواوين شعرية.(١)

– أحب صالح جودت الإسكندرية واعتاد الحضور إليها وقضاء الصيف بها وله فيها قصائد عديدة، لعل أشهرها قصيدته البديعة : « الإسكندرية » التي يستهلها بالأبيات الآتية :

إســـــكندريةُ فيـــــك الـــــرِّيُّ والظمـــــأ
بـــــأى قصـــــة حُـــــبٍّ فيـــــكِ أبتـــــدئُ ؟

أقصـــــةُ الْحِّـــــب طفـــــلا فـــــى ملاعبِـــــهِ
مـــــا هَـــــمَّ أترابَـــــهُ الـــــدنيا ولا عبـــــأوا

أيـــــام كنـــــا نـــــرى الحرمـــــانَ معصـــــيةً

(١) انظر مقال الدكتور / علي عشري زايد عن صالح جودت ضمن قاموس الأدب العربي الحديث إعداد الدكتور / حمدي السكوت (المرجع السابق) صـ٢٨٠ حيث ذكر مجموعاته الشعرية وهي بالترتيب : ديوان صالح جودت. والقاهرة (١٩٣٤)، وليالي الهرم (١٩٥٧) وأغنيات على النيل (١٩٦٢) وحكاية قلب (١٩٦٥) وألحان مصرية (١٩٦٩) والله والنيل والحب (١٩٧٥).

ونأخـــذ اللهـــوَ كُـــلاّ لـــيس يُجتـــزأ

ونجعـــل الرمـــلَ قصـــرا .. ثـــم نهدمُـــهُ

ونركـــب المـــوجَ عرشـــاً ثـــم ننكفـــئُ

.....

جـــاء الشـــباب ، وكنـــا فـــى ملاوتِـــهِ

نلهـــو فنغلـــو .. ونستشـــرى فنجتـــرئُ

أمـــا الشـــبابُ ، فقـــد فُضَّـــت موائـــدُهُ

ومـــا تخلّـــف إلا الجـــوعُ والظمـــأ

ثم يحي الشاعر روح وَلِيِّ الله « أبي العباس المرسي » صاحب الجامع الأشهر بالإسكندرية فيقول :

تحيـة يـا « أبـا العبـاس » مـن نَفَـسٍ علـــى شـــفاعتك الحســـناءِيتكيءُ

وأنـت مـن تجتبـي للـروح غايتهـا مـن الصـفاء ويُجلـي عنـدك الصـدأ

ثم يشيد بالإسكندرية ملهمة الشعراء التي امتلأت بمنازل الوحي فيجعل منها ربة للشعر وهو والشعراء رعاياها :

منـازل الـوحي فـي مغنـاك مـا برحـتْ والملهمـون علـى شـطيك مـافتئوا

يـا ربَّـةَ الشِّـعرِ يـا بلقـيسَ دولتِـهِ جـودي علينـا، فإنـا كلنـا سَـبَأ

ثم يشير إلى الإسكندر الأكبر باني المدينة:

بنـاكِ للصـيف «ذو القرنين » مروحـةً تشـفي بهـا المُهـجُ الحَـرَّي وتبتـرئُ

وفي أبيات طريفة يتحدث عن حسان المدينة ويشبههن بالأقمار :

سـماءُ غيـرِكِ تزهـو إن حَـوَتْ قمـراً وأنـتِ أرضُـكِ بالأقمـارِ تمتلـئُ

إني رأيت طلوع البدر من «بَحَرِى»(١) فقلـت هـب لـي أمانـا أيهـا الرشـأ

ولا ينسى الشاعر دور الإسكندرية في ثورة يوليو، فقد أيدتها فور قيامها، وناصرتها جامعتها على الفور، حيث خرجت منها أولى برقيات التأييد ومنها غادر الملك السابق البلاد فيقول :

إسـكندريةُ يامينـاءَ ثورتنـا علـى الطغـاةِ، ويـا ميعـاد مـن فُجِـئُوا

ثم يتحدث عن الفتح العربي الإسلامي لمصر بقياده عمرو بن العاص ومساندة الشعب لـه فـي مواجهـة المحتلين الرومـان، ودور الإسكندرية التاريخي والحضاري :

فَجْـرُ العروبـة مـن ماضـيك منبثـقٌ وللغـد المرتجـي ركنـاك متكـأ

يـا مـن هششـت لعمـرو يـوَمَ مقْدِمِـهِ ولنـتِ للهِ لمـا جـاءَك النبـأ

مـددِت كفَّـكِ للعُربـان فانتصـروا وسُـقْتِ حتفَـكِ للرومـانِ فـانهرأوا

(١) « بَحَرِى » حي مشهور في الإسكندرية عرف بجمال نسائه وزيهن الشعبي الخاص (الملاءة (الملاءة السوداء).

– ويتحدث الشاعر عن مكتبة الإسكندرية القديمة مشيراً إلى دور المدينة في حضارة العالم وكيف كانت عاصمة لها، بينما كان العالم يغطُّ في الظلام البهيم، ويسخر من مزاعم الغرب الذي اتهم عمرو بإحراق المكتبة بينما أحرقها الرومان في حقيقة الأمر ويشيد بفضل الحضارة العربية والإسلامية على الغرب:

ينســـــاب إشـــــعاعها والكـــــون مبتـــــدئُ

هـــم أحرقوهـــا.. وقـــالوا عمـــرو أحرقهـــا

يـــا طـــولَ مـــا كَـــذَبُوا التـــاريخ واجتـــرأوا

والله لـــولا حـــروف العُـــرْب مـــا كتبـــوا

ســطرا ولــولا عقــول العــرب مــا قــرأوا !

ويختتم الشاعر خطابه للمدينة واصفا إياها بكعبة العلم مشيداً بدورها الخلاق فيه وبأعلامها وجامعتها :

يـــا كعبـــةَ العِلْـــم.. يـــا تـــاريخ نهضـــتِهِ ومـــن ببابـــك أعـــلامُ الحمـــي نشـــأوا

– وفي قصيدة «غنائية الإسكندرية» يتحدث الشاعر عن جمال تلك المدينة ومواكب الحسن التي تخطر على شاطئها تعلى من شأن الهوى وتتساءل عما إذا كانت الجنة أحلى أم مغاني تلك المدينة الساحرة :

موكب الحسن على الكورنيش إذ يخطر يمـلأ الجـو ترانيمـا وأنغامـاً ومـيلاَ

كلهم في ذكريات من هوى قيس وليلى يسألون الرمل والبحر هل الجنة أحلى

مـــن مغانيـــك الحِســـان العاطفيـــة ياليـــالي الصـــيف فـــي الإســـكندرية

وفي مقطع آخر يتحدث الشاعر عن حسناء من حسناوات الثغر ويصف جمالها وجاذبيتها واحتفاء موج البحر بها :

هذه الحسناءُ مرَّت فِتَنُ الصيف عليها فكَسَتْها سُمْرَةً تجذب الدنيا إليها

رقص الموج على لحن الهوى بين يديها فأجابت وابتسامات المنى في شفتيها:

أنتِ أحلى من ليالي البندقية ياليالي الصيف في الإسكندرية

ثم يقول الشاعر إنه قضى عمره يطوف في البلدان ولكنه لم ير أجمل من هذا الثغر حيث المنى متحققه في كل شط والنور غامر لكل مكان والبحر يبعث الهناءة وعيون الحسناوات تسحر من يراها :

ما رنت عيني إلى أجمل من ثغر بلادي المنى في كل شط والسنى في كل نادي

ها هنا البحر هنائي، ها هنا الرمل وسادى ها هنا سحر العيون العربية

يا ليالي الصيف في الإسكندرية

وهكذا رسم الشاعر في القصيدتين سالفتى البيان وفي غيرهما من قصائد مجموعاته الشعرية صورة بديعة مشرقة للإسكندرية بجمالها وفتنة حسانها وتاريخها وحضارتها الزاهية.

❁❁❁

الإسكندرية في شعر أحمد السمرة

** كتب الشاعر السكندري أحمد السمرة العديد من القصائد التي تغنَّي فيها بالإسكندرية وشواطئهاوأحيائها ونسائها. من ذلك قصائده : الإسكندرية، ليالي الرمل، بنت بحري، رمل ميامي، مع الربيع في حدائق النزهة، كما كتب عن أعلامها ومنهم موسيقار الشعب سيد درويش(١).

يقول أحمد السمرة عن الإسكندرية :

أبـــدعتها فتنـــةً أودعتهـــا حبـــي	رَفَّافـةً مـن شِـغاف الـروح والقَلْـب
ســاري النسـيم وعاهـا فهـو يرسـلها	مشـبوبة اللحـن مـن قيثـاره العـذب
كؤوسـك السـحر ريٌّ بـالمنى.. ألقـا	صبي رحيق السنى من خمرها صبي
سـكبت فيهـا صـباباتي ومـا برحـت	نوازع الشوق تغري في الهوى سكبي
أنـت الغـرام سـرى فـي كـل جانحـة	وأنـت فـي خـافقي تسـبيحةُ الحـب

هكذا يتوحد الشاعر بالمدينة ويعبر عن عشقه لها وافتنانه بها ويغازلها كما لو كانت معشوقة جميلة تأخذ بلبه، ثم يتحدث عن حياته الهانئة بالمدينة بين أهلها الكرام وصحبه، ونورها الباهر، وحياتها الروحية التي صارت بها جنة، ومحرابا للجمال والعشق، بل وأصلا للكون :

نَعِمْـتُ فيـكِ بمـا فـي العـين مـن رَغَـدِ	في صفوة من كريم الأهل والصَّحْبِ
إذ أنـتِ مـن صـلوات النـور أدعيـةٌ	جـادت بهـا قبلـة مـن جنـة الـرب
فيـكِ الجمـال : جمـال لا كفـاء لـه	في معرض الحسن أو في مهجة الصَّبِّ

---

(١) انظر هذه القصائد في : « ديوان الإسكندرية » الصادر عن الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية بالإسكندرية (١٩٦٦) صـ١ وما بعدها.

ويستطرد الشاعر فيصف المدينة بأنها وطن بهي وجنه صنعتها رؤي الإغريق وتوجتها أمجاد العرب، وهي في نظره مدينة الشعر ولوحة تعكس الغيب وتشى بالبهجة وتحكي الشمس ملاحمها :

أسطورة من رواق الشعر ضاحية أو بدعة صورت عن رفرف الغَيْبِ
ما بين شطيه بهجات مرنحةٌ أو وشوشات حكاها الطير للعشب
وملحماتٌ روتهاالشمس في شمم سارت مع الدهر في سعي وفي دأب
وطوفت في جلال حول هالته وعطرت سيرة للمجد والخصب

.....

اسكندرية : ما أبهاكِ من وطن يا جنة من رؤي الإغريق والعربِ

.....

فيكِ المآثرُ إما استخبرت سردت عن كل أصيد من أبنائك النجبِ
عن فلسفات ومجد لن يطاوله مجد تأثل في سلم وفي حرب
يا طالما غنت الدنيا به كلفا في كل ملحمة للنور والحُبِّ

– ولا يفوت الشاعر أن يشير إلى فن العمارة في المدينة وما بها من مبان أنيقة عريقة تطل على ضواحيها وعلى بحرها الأزرق الذي تخطر فيه الزوارق السابحة :

والدُّوُر فيكِ على أمجادها سَمَقَتْ تُدْني الضواحيَ من نجم ومن سُحْبِ
ترنو إلى الأزرق الفضي راعية سبح الزوارق في تهويمة الحدب

– أما الغيد فيحظين بإعجاب الشاعر الذي يفتتن بحسنهن وبعطرهن وهو عطر الزهور، ويشير إلى زي المرأة السكندرية التقليدي، الذي تخطر به في الأحياء الشعبية (الملاءة السوداء):

والغيد فيك أهازيجٌ مرفهة ... يسكرن روح الهوى من غير ما شرب
لهن خطو، رفيفُ الزهر رقته ... ونفخة بالشذا تسبيك من صوبِ
يَمْشِينَ تيهًا وقلب الحي منبهرٌ ... كأنهن القطا يخطرن في سرب
سَلِ « المِلاءات » عمن صاغ لفّتها ... وجمل الخصر مشدودا من الجنب

– ويمضي الشاعر مولعا بالجمال يصف كورنيش الإسكندرية ومصيفها، مفتونا بالبحر، مواصلا حديثه عن جميلات الثغر :

فيكِ المصيفُ، على « الكورنيش » موكبُهُ ... حَفَّ السناءُ به في رونق يُسْبِي
سواره البحر، لا زاورده لَمَعٌ ... تعانقت في مداها زرقة الثوب
حور من الإنس في أبعادها فتنٌ ... حَيَّرَنَ روحَ المنى بالمنع والوهب
ألقت إلى البحر بَضًّا ناعما وسَقَتْ ... لُجَّاتِهِ خمرَها من ثغرها الرطّبِ
خَفَّتْ إلى الموج تستجلى سرائره ... همس التناجي وبث الوجد والعتب
حتى إذا ما انتشت فرت مداعبة ... إلى شعاع وظل وارف رحب
نامت على الرمل واسترخت مفاتنها ... وأشعلت جذوة تسري إلى اللب

– وتبلغ القصيدة ذروتها الروحية بحديث الشاعر عن محافلها الإيمانية والصوفية التي اشتهرت بها المدينة والتي وفد إليها الأئمة وكبار الصوفيين ومنهم أبو العباس المرسى والبوصيري والشاطبي وسيدي جابر وغيرهم. يقول الشاعر أحمد السمرة :

فيها الجليل « أبو العباس » دارته حقيقة من هدي الرحمن في قُطْبِ
في رفقة خلدوا الأبصار كاشفة رادوا المسالك واستسقوا منى الدرب
على الجلال تنادوا في مجاهدة أكرم بها في جهاد النفس من حرب
رادوا التَّصَوُّفَ فانداحت مسالكه وحرروا النهج من وعر ومن صعب

– وكما كتب أحمد السمرة تلك القصيدة الكلاسيكية عن الإسكندرية، كتب نصه الرومانسي الرقيق ليالي الرمل في شكل مختلف أقرب للموشح :

إذا ما عانق النجم عذاري الموج في البحر وأسلم قلبه الخفاق في شوق وفي يُسْرِ
وجاوب ثغره المشاق روح العطف والطُّهْر ووَشَّحَ نورُهُ المِيَّادُ أستارَ الهوى العُذْرِي
تعالَىْ نسرق الأحلامَ في إغفاءة الناس تعالى نسبق الأمواج عند الزورق الراسي
ونكتب في جبين الرمل للعشاق ما نملي حبيبي إن نجم الليل يدعونا إلى الرملِ

❁❁❁

الإسكندرية في شعر عبد العليم القباني

– تبرز الإسكندرية في ديوان الشاعر السكندري عبد العليم القباني، مدينة للفتنة والحب والجمال والمجد.

ولعل قصيدته الجميلة « ذكريات » هي أفضل تعبير عن تعلقه بتلك المدينة البديعة التي وفد إليها فأسرته. هذه القصيدة كتبها الشاعر على النمط الكلاسيكي من بحر البسيط على غرار نونيّة ابن زيدون الشهيرة ومطلعها :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا ونـاب عن طِيبِ لُقيانا تجافينا

والقباني في هذه القصيدة لا يقلد ابن زيدون، ولكنه وهو المستوعب للتراث يستفيد من تقاليد القصيدة العربية القديمة الخالدة ليعبر عن مشاعره هو وتجربته الخاصة. ومن عناصر الجمال في قصيدة القباني مزجه بين مشاعره الذاتية وذكرياته العذبة الخاصة من جهة، ووصفه لجمال الإسكندرية التي أحبها، وإشادته بمجدها، وتعبيره عن عشقه لها من جهة أخرى.

يستهل القباني قصيدته بأبيات عذبة يسترجع من خلالها أجمل ذكريات وأطياف ماضيه وهناءات صباه وشبابه .. يتذكرها فيفلت الدمع من عينيه وحوله النسيم البديع وموج البحر وطيور الشواطئ :

بالله ياصادحات الأيك غنينا نسترجع الأمس أو نبق الصِّبا فينا
أو نسترد من الأقدار رائعة رفافة الحسن من أطياف ماضينا
أيام كنا، وكان الدهر في سنة عنا نرود رياض العمر هانينا؟
إذا دنا الليل أودعنا غلائلَهُ في مطرف كفَراشِ المَرْج تلوينا؟

وإن رنا الصبح من شباكنا التفتت نواعس بالجني النشوان تغرينا
ياللزمان وما صنعت مواكبه من ذكريات نسجناها بأيدينا
تكاد تنفضها جمرا جوانحنا لتستحيل دموعا في مآقينا
إذ نحن فوق الرمال البيض أغنية غني بها في سماء الحب شادينا
وإذ نحس بأعماق الوجود لها في خافقينا صدى ما زال يشجينا
نهفو إلى الطير في دل يطالعنا ونشهد النجم في صمت يراعينا
وللنسيم بسمع الليل وشوشة كما تهامس عشاق شجيونا
وحولنا البحر يصغى ثم يرسلها موجات شوق على شوق تحيِّينا

– ثم يخاطب الشاعر الإسكندرية كما لو كانت صديقة حميمة يسر إليها بأسرار قلبه متمنيا لها السلامة والمجد وبلوغ المنى داعيا إياها إلى غد مشرق وأفراح مقيمة :

إسكندرية : لا راعتك عادية ولا أصابك إلا ما تشائينا
أعندك اليوم ما بي : أنني رجل ألقى الوشاة ولا ألقى المواسينا
حورية اليم : بنت الموج : أي منى في راحتيك، وأصداء تنادينا
إسكندرية : عاد الفجر وانطلقت مواكب النور في الآفاق تدعونا
إلى الصباح إلى دنيا مشعشعة بالأمنيات، إلى أفراح وادينا
إلى الربي طلقة.. والسهل مؤتلقا إلى الغد السمح نعليه فيعلينا

❁❁❁

الإسكندرية في شعر عبد المنعم الأنصاري

مـــن أيـــن هـــذا العطـــرُ.. والأثـــوابُ ؟ لا الـــرُّوُم تعرفهـــا ولا الأعـــرابُ
مـــن أيـــن تشـــدو فـــي عيونـــك زرقـــةٌ موّاجـــة.. وعلـــى الشـــفاه رضـــاب
إســـكندريةُ مـــا الـــذي تبدينـــه مـــن فتنـــةٍ تهفـــو لهـــا الألبـــاب[1]

هكذا خاطب الشاعر عبد المنعم الأنصاري المدينة الخالدة في قصيدته القصيرة البديعة « الإسكندرية ».

والأنصاري الذي قدم إليها من إدفينا المطلة على النيل بمحافظة البحيرة في منتصف الخمسينات من القرن الماضي[2]، وقع في غرامها واستقر بها حتى رحيله، وفيها تدرج على مدارج الشعر من قصائد البدايات لقصائد القمة، حيث أصبح واحدا من أكبر شعرائها.

فأما شعر البدايات فأنضجه هو قصائد ديوانه الأول « أغنيات الساقية » الذي صدر عام ١٩٦٩. والعنوان يشير إلى الريف الذي أقبل منه، وإن كان الديوان يضم قصائد كثيرة كتبت في سنوات الإسكندرية. وأما شعر القمة فيمثله ديواناه الأخيران « على باب الأميرة » الصادر سنة ١٩٨٤ وقرابين الصادر سنة ١٩٨٦. وقد اقتصر أثر الإسكندرية في معظم شعره على إشاراته إلى الموج والشواطئ والحسناوات اللواتي يخطرن على الكورنيش بدلالهن بملابس البحر، أو بملابسهن التقليدية في الأحياء الشعبية (الملاءة السوداء)، على نحو يشي بولعه بالجمال.. جمال البحر والشواطئ والغيد اللواتي ملأن الدنيا عليه وسلبنه لُبَّه. وقد

(١) المختار من أشعار عبد المنعم الأنصاري – سلسلة الإبداع الشعري المعاصر صـ٧٠.
(٢) أحمد شلبي : تجليات الإسكندرية في الشعر الحديث – المرجع السابق – صـ٧٦.

أطلق خياله في إحدي هذه القصائد (البحر والغادة) فتخيل البحر منافسا له في عشق الفتاة التي يولع بها، ويقول إنه نال منها ما لم ينله الشاعر، فيخاطب البحر قائلا :

على أي قيثار من الوهم تعزفُ ... لها ؟ وهي في أحضانك الخضر ترجفُ
مخدّرة، تصغي إليكَ بلهفة ... تهيّج ما أخفاه منك التصوف
وتختصم الأمواج فيها فموجةٌ ... ترق، وأخرى تستشار فتعنف
وقد جئت أشكوها إليك فهل درت ... بأن الذي أشكو له ليس ينصف ؟
وأنك قد نلت الذي كان رغبةً ... تكاد بقلبينا الغريرين تعصفُ ؟

ويصف الشاعر جمال محبوبته، شعرها الأسود القصير وقوامها الخمري وثوبها الشفيف :

وللجسد الخمري في الشط قصة ... يروجها الثوب الشفيف المفوَّفُ

ويشير إلى دلالها وتعلق قلوب الشباب بها على شاطئ البحر، ومراوغتها لهم فهي إن واعدت غير الشاعر أخلفت وعدها :

تغوص وتطغرُ في دلال.. وحولها ... قلوبُ المحبين الحياري ترفرفُ
لكل محب موعدٌ غير أنها ... تواعد دوني من تشاءُ وتخلف

والغادة تخصه بالمجلس المنفرد حيث يغني لها ويبادلها الحب العفيف ويشقى في هواها وهي تعلم :

وإن ضَمَّها ركنٌ قصيٌّ فزادها ... غنائي.. وزادي من جَناها التعففُ

ومـــا زلـــت أهواهـــا، وأزجـــي لقلبهـــا عائي وأشقى في هواها.. وتعرف ! [1]

أما قصيدة « الإسكندرية » التي أشرنا إليها في مطلع حديثنا عن عبد المنعم الأنصاري فهي شعر مختلف بلغ به الأنصاري قمة نضجه.. فالقصيدة تتمتع بصياغة محكمة، وهي لا تتحدث فقط عن الشواطئ وحسناواتها كما في القصيدة السابقة وفي كل القصائد التي ألهمته الإسكندرية إياها، وإنما هو يشير فيها بعد الثناء على جمالها وفتنتها إلى حضارتها وفنونها ومجدها.. ونهضتها الحديثة، في صياغة عالية محكمة :

مـــن يـــا تـــرى أحيـــا لـــديك صـــبابة فبـــدا لحســـنك رونـــقٌ وشـــبابُ

وأعـــدت تاجـــك بعـــد أن ضـــيعته زمنـــا.. وأخفـــت ســـره الأحقـــابُ

للفـــن فيـــك وللهـــوى أربـــابُ ولكـــل رب مـــذهب وكتـــابُ

ثم يشير إلى أعلام الإسكندرية من أبنائها النجب، وإلى عطائها الحضاري :

وبكـــل أرض مـــن غراســـك كرمـــة وبكـــل أفـــق مـــن يـــديك شـــهابُ

أنجبـــت مـــن أثـــرى الحيـــاة فبوركـــت مـــن أنجبـــت.. وتبـــارك الإنجـــابُ

إســـكندريةُ لا عليـــك بـــأنهم كالأنبيـــاء بأرضـــهم أغـــرابُ !

(١) « ديوان الإسكندرية » الصادر سنة ١٩٦٦ (المرجع السابق) – صـ٢١٣.

أما مقطوعة المدينة[1] التي كتبت عام ١٩٧٤ فهى من أشعار الأنصاري البديعة ، تمتزج فيها المدينة بالقصيدة وبالوطن كله بتاريخه وحضارته وهي مغلفة بغلالة رمزية أنيقة :

مـــدينتي كنـــت أخفيهـــا بـــذاكرتي حينـــا.. وكانـــت علـــى الأعـــداء تمتنـــعُ
أقمتهـــا اليـــوم فـــوق الأرض شـــامخةً قبابهـــا لمـــدار الشـــمس ترتفـــع
وخلـــف أســـوارها غنيـــت فألتفتـــت وأقبلـــت فـــي ثيـــاب العـــز تســـتمع

ثم يباهي الشاعر بآبائه وأجداده وماضيهم الخالد وعطائهم المبتدع ورايات بطولاتهم :

معـــي كتـــاب.. ومصـــباح.. وســـنبلةٌ معـــي تليـــد مـــن الماضـــي ومبتـــدعُ
وأغنيـــات لآبـــائي علـــى شـــفتى ورايـــة خلفهـــا الفرســـانُ تنـــدفع

وفـي ختـام مقطوعتـه يـدعو المدينـة التـي أحبهـا – المدينـة فـي صـورتها الخالدة الزاهية –يدعوها للعودة أي للبعث والنهضة، مذكرا بمعاناته واغترابه وما واجهه وواجه المدينة من قبل من جوع ومن فزع في زمن فقدا فيه الطمأنينة والأمان والمجد :

(١) عبد المعم الأنصاري : « على باب الأميرة » – الطبعة الأولى ١٩٨٤ – الناشر : منشأة المعارف بالإسكندرية صـ.

فعـانقي خَطَـراتِ الشـوق.. واقتربـي إن كـان لـي فـي هـواكِ الآن متَّسَـعُ
إنـي قطعـت شـتاء العمـر مغتربـا وخلفـي الجـوع أنَّـي رحـت والفـزعُ

ومن الدراسات التي أشارت إلى تجربة الأنصاري الشعرية وعلاقته بمدينة الإسكندرية وتجليها في شعره دراسة للباحث الشاعر أحمد شلبي تجدر الإشارة إليها فهو بعد أن عكف على مجمل شعره يقول : أن بعد أنه قدم من بلدته إدفينا إلى الإسكندرية : انبهر بالبحر والشواطئ والحسناوات وألمح إلى أنه لم ير في الإسكندرية سوى هذه الصور الأنثوية الطاغية في البداية :

« امتلأ ديوان الأنصاري الأول « أغنيات الساقية » بصور الإنبهار بالبحر والشواطئ التي تزدان بالحسناوات، فجاءت الإسكندرية في شعره لوحة تمتلئ بالصور الأنثوية الطاغية السحر والجمال. ففي قصيدة « عرافة » يرسم هذه اللهفة الشبابية إلى العيون الساحرة والشعر الفوضوي والقوام المثير في صور « نزارية » (نسبة إلى الشاعر نزارقباني) :

أنـا يـا عرافـة الشـط ضـحيَّةٌ لعيـون هامسـات عسـليةْ
خـدرتني.. سـرقتني.. خبـأتني تحـت أسـتار الحريـر السندسـية
رفرفـت بـي ثـم حطـت فـي كـروم ذات ألحـان علـى الأفـق شـجية
ثـم طـارت وأنـا مازلـت أهفـو مـن بعيـد لشـفاه قرمزيـة
لشـعور فاحمـات تترامـى فـي خصـيلات قصـار فوضـوية
لشـقيِّين علـى صـدر ثـريٍّ ملآ (الشـط بزفـرات خفيـة
وقـوام يتراخـى فـي دلالِ آه مـن سـاق علـى سـاق شـقية[1]

(١) أغنيات الساقية – للأنصاري صـ٢٢ – من قصيدة « عرافة ».

هذه النظرة لم تلحظ في الإسكندرية إلا « البلاچات » والحسان اللواتي يخطرن على شطآنها.. في صور متكررة مثل :

أنا أم وشوشات البحر في عينيك تستجدي
ودفءُ الخمر في شفتيك.. والورد على الخدِّ
أم الشمس التي باحت على كتفيك بالوعد
وصدر ثائر النهدين.. نهد ضجّ من نهد
وقد مرمري جائع في
ثوبه الوردي(١)

ولا تختلف هذه الصور الأنثوية الشاطئية التي لا يرى في الإسكندرية سواها عن صور قصيدته « الغادة والبحر »(٢) (وقد أشرنا إليها من قبل).. إنه انبهار شاب قروى بالإسكندرية : الشواطئ ومن عليها من الحسناوات ليس إلا!!».

ولكن الشاعر أحمد شلبي يعترف بأن الأنصاري تطور بعد ذلك ونظر للإسكندرية نظرة مثقف يرى – فيما يرى – حضارة المدينة وتاريخها المجيد. يقول: –

« صار الأنصاري سكندري الهوى والإقامة وأصبح أحد شعرائها مع يوسف فهمي الجزايرلي وأحمد السمرة وعبد العليم القباني ومحمود العتريس وأحمد حسين شحاته ومحمود عبد الحي............ وفتح الشعر له الأبواب ليتخذ مكانا مرموقاً بين شعراء الإسكندرية وأصبح سكندريا خالصا يباهي بسكندريته ثم أصدر ديوانيه «على باب الأميرة » – وهو درة دواوينه – ثم " قرابين ".. وفي هذين الديوانين تراجعت صور البحر والشواطئ تماما بل مفردات البحر ومعالم الإسكندية إلا في قصيدتية الرائعتين اللتين تكشفان عن نضج الأنصاري وتطور شاعريته التي تميز بها لما فيها من قوة بناء وروعة صور وإيحاءات رموز وتكثيف معنى.

(١) أغنيات الساقية – للأنصاري صـ١٠٥ – من قصيدة « استجداء ».
(٢) الأنصاري : أغنيات الساقية صـ٦٢.

بل كان الأنصاري وعدد قليل من الشعراء الواجهة الشعرية للإسكندرية طوال الستينيات والسبعينات والثمانينات إلى أن رحل. والقصيدتان هما « المدينة » و « الإسكندرية » (اللتان أشرنا إليهما من قبل). والقصيدة الأولى تكشف بجلاء عن سمات شعرية الأنصاري الألقة ففيها جعل من المدينة رمزا للوطن وللتاريخ وللمجد في نبض جديد للقصيدة العمودية التي كان المدافع القوى عنها، بل جعل المدينة رمزا للقصيدة ذاتها التي وهبها عمره..... ثم قصيدته الثانية «الإسكندرية » التي سبح فيها بجمال الإسكندرية وتاريخها وأعلامها الذين أثروا الحياة، وفضلها على العلوم والآداب والفنون. وترتسم الإسكندرية / المدينة والحضارة الإغريقية والرومانية والعربية في أسلوب شعري أخاذ وتكثيف مدهش تبرز منه عبقرية الأنصاري والإسكندرية معاً..... لقد كان تعبير الأنصاري تعبيراً مرحليا صادقا، ينسجم مع خطاه في المدينة بدءًا وانتهاءً. فقد بدأ منبهرا مستمتعا عابثا وانتهى متأملا ذائبا في تاريخ وعطر الإسكندرية » [١] .

❁❁❁

(١) أحمد شابي : تجليات الإسكندرية في الشعر المصري الحديث صـ٧٦ وما بعدها .

الإسكندرية في شعر أحمد عبد المعطي حجازي

– أحمد عبد المعطي حجازي واحد من كبار شعراء مصر والعربية المعاصرين. ورواد التجديد في القصيدة العربية في العصر الحديث. ولد في ٥ يونية ١٩٣٥ في مركز تلا بمحافظة المنوفية، وعمل في الصحافة المصرية منذ عام ١٩٥٦، ورحل إلى باريس حيث أكمل تعليمه هناك ثم عمل محاضرا بجامعة باريس (٨) لمدة ستة عشر عاما حتى عاد لمصر عام ١٩٩٠. صدر ديوانه الأول « مدينة بلا قلب » عام ١٩٥٩ في الشكل التفعيلي الجديد بما يكشف عن عالم شعري متميز ونزعة تجديدية واضحة في الشكل والمضمون، ثم أصدر دواوينه التالية : أوراس (١٩٧٣) وهو عبارة عن قصيدة واحدة كتبت في السنوات من ٥٦ حتى ٥٩، لم يبق إلا الإعتراف (١٩٦٥)، مرثية للعمر الجميل (١٩٧٢)، كائنات مملكة الليل (١٩٧٩)، أشجار الأسمنت (١٩٨٩)، ثم كتب قصائد أخرى لم تنشر في ديوان جديد حتى الآن وبهذه الإبداعات اعتبر حجازي واحدا من كبار الشعراء المجددين الذين يتصدرون حركة الشعر الجديد (الحر) جنبا إلى جنب مع عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور الذين سبقاه في ريادة هذه الحركة في مصر، وبدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي في العراق [١].

– وعندما قدم حجازي من قريته إلى القاهرة صدمته المدينة الضخمة بقسوتها وشعر بالغربة والضياع فيها، وعبر عن ذلك في قصائد ديوانه الأول « مدينة بلا قلب »، وما تلك المدينة التي لا قلب لها سوى القاهرة في لقاءاته الأولى معها.. لكن حجازي أحب القاهرة بعد ذلك وعرفها على حقيقتها مدينة مهيبة

(١) انظر – مقال فاروق شوشة ضمن قاموس الأدب العربي الحديث – إعداد الدكتور حمدي السكوت (المرجع السابق) صـ٦١،٦٢].
– سبعون عاماً من الريادة والتجديد (شهادات وقصائد) المجلس الأعلى للثقافة بمصر (٢٠٠٥).

خالدة ترتكز على أقوى دعائم الحضارة والتاريخ المجيد.. وهي التى احتفت به بعد ذلك وتوجته كواحد من شعرائها الكبار.

– وعندما اتصل بالإسكندرية عشقها واستأجر بيتا فيها ، وظل يتردد عليها كلما سمحت له ظروف الحياة بذلك وحتى الآن، وخالط شعراءها ومثقفيها، ونشأت بينه وبينهم صداقات حميمة، وشاركهم أنشطتها الثقافية الحافلة. ولكن كل ما عُرِفَ عن حجازي من حبه للإسكندرية والاحتفاء بها وتتبع ثقافتها وحضارتها لم يظهر جليا كثيفا في شعره بينما ظهرت انطباعات أيام حزينة عاشها فيها في الستينيات وعبر عنها في قصيدته « يوميات الإسكندرية»[1].

– ففي هذه القصيدة المكونة من أربعة مقاطع يتحدث حجازي عن: البحر ، وعن مساء المدينة ، ومقاهيها لحظة كتابة القصيدة، وعن الفتاة اليونانية التي يطاردها الشرطي على البلاج حيث تبيع جسدها الأثينى، وعن شعوره بالغربة والوحشة وافتقاد الأصدقاء.

– المقطع الأول من قصيدة حجازي يرسم فيه لوحة حزينة للمدينة ولنفسه في لحظة كتابة القصيدة :

والبحر ألوان تموتْ..
كلما ذاب المساءْ
إلا شريطا شفقيا بينها وبين عتمة البيوتْ
ونحن في المقهى نموتْ !

– وفي المقطع الثاني يتحدث عن « ماري » اليونانية التي تبيع الهوى على الكورنيش في لوحة محزنةَ تدين الفتاة والمدينة معا وتعبر عن مأساة إنسانية :

(١) انظر: فؤاد طمان : حجازي في الإسكندرية : محاضرة ألقيت بمركز الإسكندرية للإبداع (صالون الشعر) في مارس ٢٠٠٧ .

ماري التي أنقذتها من رجل الشرطة قبل ليلتينْ
رأيتها في الليل تمشي وحدَها على البلاجْ
تعرض ثديها الأثينيِّ لقاء ليرتَيْنْ
وبعد أن جزنا الطريق مسرعَيْنْ
واصطفق الباب، وأحكم الرتاجْ
قصت عليّ قصة الشاب الذي أنقذها
من ليلتينْ !
ثم بكت.. وابتسمت
وكان نور القمر الغارب يملأ الزجاجْ..

– ويصور المقطع الثالث لحظة وداع صامت باهت على شاطئ البحر مع إنسان ما لم يفصح عنه الشاعر، فيتشح المقطع بغلالة رمزية حزينة :

كان وداعا باهتا وداعُنا ..
في آخر الصيف وآخر النهارْ
كان وداعا صامتا على طريق البحر،
والمدى عراءٌ خلفَنا
كأننا أبطال مسرحية بلا إطارْ
تبدأ دون دقَّةٍ
وتنتهي بلا ستارْ

– أما المقطع الأخير من القصيدة فيضم بعضا من ذكريات الشاعر القديمة التي ترجع للطفولة ومشاهد من الإسكندرية حيث السفن تضيء من بعيد ثم تغيب ووحشة ليل المدينة حيث لا أصدقاء ولا فرح، مما يجعله يجهش بالبكاء:

المدنُ التي عَبَرْتُها قديماً
في طفولتي القصيرةْ
والسفن التي تضيء من بعيدٍ.. وتغيبْ..
والمقطعُ الشجيُّ من أغنية شعبيةٍ،
يخرج من عُرْسٍ قريبْ..
ووحشتي في ليلةٍ يئست فيها من لقاء الأصدقاءْ
كان الذي يثير فيّ نوبة البكاءْ
لكنني في آخر النوبة أصحو والدموع لا تجيبْ
تلك هي المأساة في رحلتيَ الأخيرةْ !

وتعليقا على هذه القصيدة يقول الشاعر الباحث أحمد شلبي عن البكاء الذي يبرز بين ثناياها : هل هو بكاء على التحول الذي أصاب المدينة من ثقافتها العالمية الكوزموبوليتانية وحالتها الحضارية الراقية، إلى الثقافة والحضارة المنحطتين اللتين جعلت الفتاة الضائعة « ماري » مطاردة لأنها تبيع الهوى لتجدي المأوى والطعام... هل يحمل مقطع حجازي عن ماري اليونانية هذه الرؤية ؟ أظن أنه هو من بدأ هذه الرؤية في مقطع عبقري قصير ملئ بالإيحاءات والإشارات الثقافية والسياسية والاجتماعية..... ثم تنتهي القصيدة بالمقطع الرابع وهو بكاء رثائي للتغير والتحول الذي لحق المدن والزمن.. فيرثي المدن التي عبرها في الطفولة، والسفن التي تضيء من بعيد والغناء الشعبيّ الشجيّ المعبر عن الفرح »[1].

❁❁❁

(١) أحمد شلبي – المرجع السابق صـ١٤١، ١٤٢.

الإسكندرية في شعر محمد إبراهيم أبو سنة

أبو سنة واحد من ألمع شعراء جيل الستينيات من القرن العشرين . وهو عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة في مصر وعضو لجنة جوائز الدولة التشجيعية به في أكثر من دورة. وقد تدرج في مناصب الإذاعة المصرية حتى عين نائيا لرئيسها. صدر له عدد كبير من المجموعات والمختارات الشعرية منها البحر موعدنا (١٩٨٢)، ومرايا النهار البعيد (١٩٨٧) ورماد الأسئلة الخضراء (١٩٩٠) ورقصات نيلية (١٩٩٣) وورد الفصول الأخيرة (١٩٩٧) وأغاني الماء (٢٠٠٢).

وقد ولد في ١٥ مارس ١٩٣٧ بقرية الودى (مركز الصف بمحافظة الجيزة) وتخرج في كلية الدراسات العربية – جامعة الأزهر عام ١٩٦٤ [١].

– وقد اعتاد أبو سنة زيارة الإسكندرية والمشاركة في مهرجاناتها وأمسياتها الشعرية ومؤتمراتها وندواتها الأدبية. وعرف عنه تعلقه بالثغر وبالبحر.

– ففي قصيدته « الإسكندرية » التي كتبها في عام ١٩٨٤[٢] لا يركز على وصف الشواطئ والحسان ولا يتحدث حديثا مباشرا عن تاريخها وأمجادها كما فعل غيره من الشعراء.. ولكنه يتأمل ويحلل ويغوص في تاريخها بحثا عن رؤية خاصة وفلسفة تكشف أسرار الوجود.. إنه يرى الإسكندرية لغزا يحاول التاريخ

(١) انظر : السيرة الذاتية للشاعر وقائمة دواوينه في مختارات « أغاني الماء » – الهيئة العامة المصرية للكتاب – سلسلة الإبداع الشعري المعاصر ٢٠٠٢ صـ١٧١ .

(٢) من ديوان « مرايا النهار البعيد » – مكتبة الأسرة – مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٩صـ٣١ وما بعدها.

تفسيره.. ويراها فاتنة تزوجت البحر من قديم الزمان، وكلما تعب البحر عاد إليها ليجدها في انتظاره فتانة نابضة بالحياة :

هـــــا هنـــــا الإســــــكندرية لغـــــزٌ   تتبـــارى العصـــور فـــي تفســـيره
كلمـــا تعـــب البحـــر جـــاء إليهـــا   ليراهـــــــــــــــــــــــــــــــــا
جســــــدا دافئــــــا فـــــي ســـــريره

ويتحدث عن الإسكندر الأكبر باني الإسكندرية ويتحدث بلسانه وهو في النهاية – أى الإسكندر – لا يفخر بالفتح والغزو ولا بانتصاراته العسكرية ولا بدخوله مصر وسيطرته على البقاع التي أقام عايها مدينته الخالدة.. بل يصفها بحدائق روحه وتوأمه ويقرن قلبه بها باعتبارها صرحا للحضارة الإنسانية :

وهذا هو البحر وسط الضبابِ
يطالعه ممسكا بالبشارةْ
أيها الجند : هذى حدائق روحي..
وهذى مشيئتي الجبارةْ
تلد الآن توأما خالدا من ركام الحجارة..
فارفعوا فوق هذى الشواطئ قلبي..
واجعلوه مدينة للحضارة
ها هنا ستسكن روحي
ها هنا تقوم « منارة » !

هذه هي الرغبة النهائية للإسكندر الأكبر من وراء بناء الإسكندرية وهذه هي الحكمة التي انتهى إليها فيما يرى الشاعر.. أما الفتح والانتصار فلا قيمة لهما في ذاتهما. فالإسكندر يعرف كما قدر الشاعر أن الفتح قد يحمله إلى الخطر وأن الإنتصار قد تعقبه الهزيمة ، وأن الأحلامَ الكبرى قد تتبدد وتذوب تحت حرائق القدر، فالباقي فقط هو الحضارة والخالد فقط هو العطاء الإنساني النبيل :

كان إسكندر الأكبر يعرفُ رغم الفتوحات أن المدنْ
نساء يراوغن عشاقهن
ولا يحتملن طويلاً سوى شوقهن إلى القادم المنتظرْ..
كان يعرف أن القَدَرْ
يقلّب أوراقه بين أيدي الخطرْ ..
فيمنح أعداءه مرةً الانتصارَ
وينذره مَرَّةً للظَفَرْ
كان يدرك أن الأماني صورْ
يزخرفها في ضياء القمرْ
حالما
ثم تحرقها الشمس يوما
ويمحو الذي قد تبقى المطرْ
كان يعرف أن الجبال التي يرتقيها
ستودى إلى المنحدرْ
وهذى هي الأرض تخشعُ
لكنها
وسْط غيظ الهزيمة
توحي له بالنُّذُرْ
ما الذي يفعل اسكندرُ الآنَ والموتُ يرقبُهُ
وَسْطَ هذا الكمالِ الخَطِرْ ؟ !

– وهذا بالضبط ما أكده الناقد الكبير الدكتور لويس عوض في تعليقه على هذه القصيدة حيث قال :

« في تقديري أن أفضل قصيدة في ديوان « مرايا النهار البعيد » هي قصيدة « الإسكندرية » وهي قصيدة جوهرها أن كل مجد زائل ما خلا مجد الحضارة ! » .....

والسؤال البدهي الذي يطرح نفسه بعد قراءة قصيدة « الإسكندرية »لمحمد أبوسنة : ترى هل يتحدث محمد أبو سنة حقا عن الإسكندر والإسكندرية أم أنه

يتحدث عن كل جبار دانت له الدنيا ، وخرج بنتيجة واحدة وهي أن القيمة لا تكون عظيمة حقا إلا إذا ترجمت نفسها إلى قيم الحضارة؟!(١).

❁❁❁

(١) د. لويس عوض : مقال منشور في الكتاب التذكاري الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة عن الشاعر محمد إبراهيم أبوسنة بمناسبة بلوغه عامه السبعين : صـ٣٢٦ وما بعدها.

الإسكندرية في شعر فوزي عيسى

– ولد الشاعر الدكتور فوزي عيسى ونشأ بمحافظة البحيرة ولا زال يقيم بمنزله الريفي بحوش عيسى رغم أنه يعمل أستاذاً بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية.

– ورغم انتسابه لحوش عيسى فإنه ينتسب أيضاً للحركة الشعرية والنقدية السكندرية، ليس فقط لعمله بجامعة الإسكندرية، ولكن أيضاً لاتصاله بالحركة الشعرية بالمدينة نقداً وإبداعاً ولمشاركته الفعالة في تلك الحركة وأنشطتها الثقافية المتشعبة.

– ولد فوزي عيسى في ٣٠ /١٠/١٩٤٩، وأصدر أربع مجموعات شعرية هي : « أحبك رغم أحزاني (١٩٨٦) لدى أقوال أخرى (١٩٩٠) ثقوب في ذاكرة النهر (١٩٩٦) لغة بلون الماء (١٩٩٩) والمجموعات الثلاث الأخيرة صدرت بالإسكندرية [١].

– يقول الشاعر فوزي عيسى في قصيدته « الإسكندرية دائما » :

على عهده بالهوى لم يزلْ ... يهيمُ بها البحرُ منذ الأزلْ

فيطوي المسافات شوقا إليها ... ويسمعها وشوشات الغزل

ويرسل أمواجه الهائمات ... يدغد غنها بشهيّ القُبل

ويرتاح دهرا على ساعديها ... ويغزل من ثوبها عُقْدَ فُلْ

فيأتلق السحر في مقلتيها ... وتختال فاتنةً ذات دَلْ

(١) موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر – د. يوسف نوفل الطبعة الأولى (٢٠٠٥) الناشر : مؤسسة المختار للنشر والتوزيع صـ٨٤٧.

في الأبيات السابقة تحدث الشاعر عن سحر الإسكندرية وعلاقتها الحميمة بالبحر.. وفي ختام القصيدة يعبر عن حبه للمدينة وإيمانه بأنها أمله حين تحاصره الغربة، فهي وحدها تسكن قلبه، منتصبة خالدة، بينما غيرها من المدن محض أطلال :

أحبـــكِ والحـــب لـــو تعلمـــين ربيـــع القلـــوب ونـــور الـــمُقَلْ
وحـــين يحاصـــرني الإغتـــرابُ أعـــانق فـــي مقلتيـــك الأمـــل
التـــي تســـكنين الفـــؤادَ فأنـــتِ وكـــل الـــبلاد - ســـواك – طلـــلْ (١)

❁❁❁

(١) من ديوان « لدى أقوال أخرى » – الطبعة الأولى (١٩٩٠) – الإسكندرية صـ٥٣.

الإسكندرية في شعر أمل دنقل

– ولد أمل دنقل في ٢٣ يونيه ١٩٤٠ في قرية من قرى صعيد مصر (القلعة) تتبع محافظة قنا، وقد عاش هناك حتى نال شهادة الثانوية العامة، وانتقل للقاهرة ليكمل دراسته في كلية الآداب بها، إلا أنه لم يكمل دراسته، وعمل بجمارك القاهرة، وفي عام ١٩٦١ تقرر نقله إلى جمارك الإسكندرية حيث تردد عليها ثم استقر بها ثلاث سنوات من ١٩٦٢ حتى ١٩٦٤.

– أصدر أمل أربع مجموعات شعرية هي : البكاء بين يدى زرقاء اليمامة (١٩٦٩)، تعليق على ما حدث (١٩٧١) مقتل القمر (١٩٧٤)، العهد الآتي (١٩٧٥). وبعد رحيله في مايو (١٩٨٣) صدر له ديوانان هما : « أوراق الغرفة رقم (٨) » « وأقوال جديدة عن حرب البسوس » . وفي عام (٢٠٠٢) صدرت " أعماله الشعرية " عن مكتبة مدبولي وفي عام (٢٠٠٣) أصدر المجلس الأعلى للثقافة " أعماله الكاملة " [١].

– ولا شك في أن الإسكندرية في بدايات المرحلة الأولى لإقامة أمل بها لم تكن أبدا فردوسا، ولا حتى مدينة مريحة فاتنة يأسره جمالها كما حدث مع غيره من

(١) انظر : موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر للدكتور يوسف نوفل (المرجع السابق) صـ٦٦٨.

- قاموس الأدب العربي الحديث للدكتور حمدي السكوت (المرجع السابق) صـ٩٨، ٩٩.
- الجنوبي : عبلة الرويني – مكتبة مدبولي بالقاهرة – الطبعة الأولى (١٩٨٤).
- أمل دنقل : الإنجاز والقيمة – الناشر : المجلس الأعلى للثقافة (٢٠٠٩) (سلسلة أبحاث المؤتمرات ٢٠٠).

– سفر أمل دنقل – تحرير عبلة الرويني – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى (١٩٩٩).

الشعراء الذين تناولهم بحثنا هذا . لقد شعر بالقطع بغربة شديدة فيها وبحنين جارف إلى بلدته.

وقد وصف هو نفسه لياليه الأولى فيها بأنه مريرة محزنة كئيبة من خلال قصيدته الأولى عنها : « رسالة من الشمال »، وهي رسالة أرسلها من الإسكندرية لحبيبته في الجنوب كما توضح القصيدة، وهي تقطع بأنه لم يرفى الإسكندرية جمالا يريح قلبه ويسر ناظريه آنذاك. حتى الإشارة العابرة إلى أهلها تدل على انطباع سيئ ونظرة غير مطمئنة.. وحتى تاريخها المجيد وحضارتها الضاربة في جذور الزمان لم تلفت نظره ولم تثر اهتمامه ولم يشر إليها لا في هذه القصيدة ولا في أي قصيدة أخرى حتى رحل عن الإسكندرية. يقول أمل في « رسالة من الشمال » : [1]

ملاكي أنا في شمال الشمالِ	أعيش ككأس بلا مُدْمنِ
تَرُدُّ الذبابَ انتظارا، وتحسو	جمود موائدها الخُوَّنِ !
غريب الخطايا.. بقايا الحكايا	من الليل لليل تستلني
أرش ابتسامي على كل وجهٍ	توسّد في دُهنه اللين !
ويجرحني الضوء في كل ليلٍ	أسير الخطى ! صامتٍ! محزن !
سَرَيْتُ به – كالشعاع الضئيل –	إلى حيث لا عابرٌ ينثني

ويستمر الشاعر في التعبير عن ضياعه بالمدينة واصفاً إياها بالقسوة وشوارعها بالخواء، وهو لم ير فيها سوى حراس لا يلتفتون إليه وكلاب تتناسل حيث رائحة الشبق ! ووجوه خاملة تتوسد دُهنها اللين :

(١) ديوان « مقتل القمر » ضمن الأعمال الكاملة لأمل دنقل – مكتبة مدبولي صـ٤٨.

هـــي اســـكندرية بعـــد المســـاءِ شـــتائيةَ القلـــب والمحضـــنِ
شـــوارعها خاويـــات المـــدى ســـوى حـــارس بـــيَ لا يعتنـــى
ودورةِ كلبـــين كـــي ينســـلا ورائحـــة الشـــبق المـــزمن
ملاكـــي.. ملاكـــي : تســـاءل عنـــكِ اغتـــراب التفـــرد فـــي مســـكني
ســـفحت لـــك اللحـــن عبـــر المـــدى طريقـــا إلـــى المبتـــدا ردنـــي

.....

تَغَرَّبـــتُ عنـــك لحيـــث الحيـــاةُ منـــاجم حلـــم بـــلا معـــدنِ !

هذه هي الإسكندرية إذن في أشعار أمل الأولى مدينة موحشة كئيبة محزنة خاوية من الناس والأصدقاء والأحلام.

تؤكد هذه الرؤية رؤية شاعر آخر من شعراء المدينة ومن رفاق أمل دنقل نفسه هو الشاعر فؤاد طمان الذي يقول :

« في مرحلة الإسكندرية خاصة في البداية أَحَسَّ أمل بالغربة القاتلة وبالحزن وباللا جدوى وبالحنين إلى بلدته أو بالأحرى لذكرياته فيها بما اشتملته من حنان أسرى وعاطفة صادقة وصداقات حميمة. وفي قصائده الأولى فيها وصفها بالعجوز الشمطاء وبالمدينة القاهرة القاسية شتائية الحضن خاوية الشوارع والمدى.... لم يرفيها إلا المتعالين، والحراس الذين لا يأبهون به ولا بالعابرين، والكلاب التي تتناسل في طرقها ورائحة الشبق حتى أصبحت الحياة فيها كئيبة محبطة لا جمال ولا أمل ولا أحلام فيها .

لقد كره الإسكندرية في البداية وكره أهلها ووصفهم بالموتى والمترهلين والآلات الصماء ووصف ليلها بأنه مرير الخطى، صامت، مثير للحزن واليأس والكآبة.

..... وأمل وإن كان لم يحب المدينة – في البداية إلا أنه تعاطف مع ضحاياها الفقراء الذين يعيشون فيها حياة بائسة سواء كانوا: شرفاء، أو عاهرات يبعن أجسادهن من أجل المال ويعتقدن أنه لا حل غير هذا ليحصلن على لقمة العيش، أو ساقيات يعملن بالملاهي الليلية ويحملن أحزانهم الخاصة في قلوبهن التعيسة. وقد مزق أمل تلك القصائد الأولى التي تعبر عن هذا الانطباع عدا قصيدتين هما : « رسالة من الشمال » – التي سبق الحديث عنها وقصيدته « ماريا » التي كتبها بالإسكندرية وفيها يقول :

ماريّا
يا ساقية المشربْ
الليلة عيدْ
لكنا نخفي جمرات التنهيدْ..
.....
قد جئنا الليلةَ من أجلكْ
لنريح العمر المتشردْ
خلف شعاع الغيب المُهلكْ..
.....
الناس هنا – في المدن الكبرى
ساعات..
لا تتوقفْ..
لا تتصرف..
آلات.. آلات.. آلاتْ "[1]

(١) فؤاد طمان : أمل دنقل فى الإسكندرية – الهيئة العامة لقصور الثقافة – المرجع السابق – ص٢٦ وما بعدها .

–أما الشاعر الباحث «أحمد شلبي» فهو لا يتفق مع الشاعر فؤاد طمان فيما ذكر آنفا..فهو يرى أن أمل لم يحب الإسكندرية قط ولم يرفيها أي جمال أو فتنة ولم يحفل بها فلم تحفل به ! يقول :

« ثلاث سنوات من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٤ قضاها أمل دنقل في الإسكندرية رافق خلالها شعراءها : الأنصاري – العتريس – فؤاد طمان وغيرهم. والسؤال: هل أحب « أمل » الإسكندرية ؟ وهل أحبته الإسكندرية ؟ ما يبوح به شعر أمل لا يدل على هذا الحب المتبادل بل يدل على إحساس بغربة هذا الفتى القادم من الجنوب..... أما عن رحلة الإسكندرية فيقول عنها أمل يمكنني الآن أن أعتبر فترة مدينة الإسكندرية فترة توقف عن كتابة الشعر » [١].

قال هذا وهو على فراش مرض موته للكاتب نبيل فرج في حوار أجراه معه..... لكن الشيء المؤكد هو أن أمل عاش حياة قاسية في الإسكندرية. وظهر ذلك في شعره بشكل واضح وهو ما يجعلنا لا نحتاج إلى اللجوء لمن عاصروه أو رافقوه خلال تلك المرحلة..

إن شعره في هذه المرحلة يصور لنا شكلا من أشكال « الصعلكة » والحرمان، مما طبع شعره بحزن دفين وألم شديد كما في قصيدتيه « ماريا » « ورسالة من الشمال » (السابقه الإشارة إليهما).

.....
أرفع عيني نحو الشمس كثيرا
لكني منذ هجرت بلادي، والأشواق
تمضغني !
وعرفت الإطراقْ !
.....
وأنا أشتاقْ
أن أرجع يوما ما للشمسْ

(١) مملكة الشعراء – نبيل فرج – الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب صـ٣٤ (هذا الهامش للشاعر أحمد شلبي في كتابه وهو لم يذكر تاريخ الطبعة).

أن يورق في جدبي فيضان الأمس(١)

– « هذه هي انطباعات أمل الأولى عن مدينة الإسكندرية ورحلته إليها.. لكنه بعد ذلك عشق الإسكندرية، وعندما أصدر ديوانه الثاني « مقتل القمر » في القاهرة أهداه إلى الإسكندرية « سنوات الصِّبا » وبعد سنوات من رحيله عنها كتب قصيدته « المزامير »(٢)، واعترف فيها بعشقه لها :

أعشقُ اسكندريةَ..
واسكندريةُ تعشق رائحة البحرِ
والبحر يعشق فاتنةً في الضفاف البعيدَةْ(٣)

..... فهو يحاول أن يجد ما يهوّن عليه أحزانه وآلامه في مشرب يوناني.. لينعم لحظات بنظرات الفتاة اليونانية « ماريا » ساقية المشرب.

ولكن هذه اللحظات القصيرة تفارقه أو يفارقها إلى الواقع المرير فلا يرى في الإسكندرية إلا ما يؤلم وما يزيد نفسه كآبة وتعاسة ووحشة.

إن هذه الصورة التي رسمها للإسكندرية لا تراها إلا نفس حائرة مشردة.. نفس تعيسة يغلبها إحساسها بالشقاء ويصرفها عن أي جمال، لأن العالم الداخلي للشاعر أعاد تشكيل عالم المدينة فجاءت الرؤية قاتمة كئيبة، حتى في تلك اللحظات التي يكون فيها الشباب في مرح ولهو فوق الشاطئ، لا يراها أمل دنقل إلا لحظات مرض وموت. يقول في قصيدة « أجازة فوق شاطئ البحر» (٤).

(١) من ديوان « مقتل القمر » – ضمن الأعمال الكاملة – منشورات مكتبة مدبولي صـ٣٧.
(٢) من ديوان « العهد الآتي » – ضمن الأعمال الكاملة – المرجع السابق صـ٢٥٣.
(٣) فؤاد طمان : أمل دنقل في الإسكندرية – الناشر : الهيئة العامة لقصور الثقافة – الطبعة الأولى ٢٠١١ صـ٢٦ وما بعدها.
(٤) ديوان أمل دنقل – الكتاب الذهبي – دار روز اليوسف صـ٨٥ (أورد المؤلف أحمد شلبي بيانات الديوان دون ذكر تاريخ الطبعة).

أغسطسُ .. الإسكندريةْ
واليود يرشح في رئتين يسد مسامَهُما الربوُ والأتربةْ !

ونجد في القصيدة هذه التعبيرات القاسية : ينخرنا الملح – النمش البُرْصِيُّ – حزننا الغامض – تجف النضارة – الزبد المر – صديقي الذي غاص في البحر مات – الرحلة الخائبة ؟.

ثم يختتم القصيدة بقوله :

ولكننا في النهايةِ،
عدنا إلى شاطئ البحر.. والراية الغاضبةْ
.....
بدايتنا البحرُ حين قصدنا المقابر..
كيف رجعنا إليه ؟ وكيف الطريق اشتبهْ ؟ !

فالبحر عنده هو الحياة التي تبدأ بالميلاد وتنتهي بالموت، فسيان الطريق إليه أو إلى المقابر.. فالنهاية واحدة ! إن علاقة الشاعر بالمدينة علاقة تنافر، فلاهي احتوته كما يريد، ولا هو أحبها كما ينبغي ! [1].

ولكن هذا القطع بكراهية الشاعر أمل دنقل للإسكندرية أو عدم حبه لها محل نظر فيما نرى. فبعد أن تلقى أمل دنقل صدمة المدينة عندما دخلها في البداية وعاني من الغربة والحنين والوحدة، تكيف مع جوها وأهلها بعد ذلك فيما أظن وفيما يظن الشاعر فؤاد طمان أيضا حسبما ورد بمؤلفه « أمل دنقل في الإسكندرية » المشار إليه آنفا. ذلك أن أمل عندما أصدر في القاهرة ديوانه الثاني « مقتل القمر » تذكر الإسكندرية وأهداها ديوانه كما سلف البيان. وعندما كتب

(١) تجليات الإسكندرية في الشعر الحديث – أحمد شلبي (المرجع السابق) صـ٤٦ وما بعدها.

بعد سنوات من رحيله عنها قصيدته « مزامير» خص الثغر بمزامير ثلاثة منها. وفي أحدها يقول بالحرف :

أعْشَـــــــــــقُ اســـــــــــــكندريةَ..

واســـكندرية تعشـــق رائحـــة البحـــرِ..

والبحـر يعشـق فاتنـة فـي الضـفاف البعيـدةْ..

وهـذا القـول دليـل حـب وعشـق للإسـكندرية ولـيس آيـة تنـافر بينهـا وبـين الشاعر.

ولكن أحمد شلبي رغم هذا النص القاطع يصر على رأيه ويأخذ في تحليل أبيات تلك المزامير(١) علـى نحو يريد أن يؤكد بـه رؤيتـه. فبعد أن يشير للأبيات السابقة يضيف : « يقول أمل في مزموره الثاني كاشفا عن خوفه من البحر :

قلـــت لهــا فـــي الليلـــه المـــاطرةْ

البحـــــــــر عنكبـــــــــــوتْ

وأنـــتِ فـــي شــــراكه فراشــــة تمـــوتْ

ويجسد حالة التنافر بينه وبينها في مزموره الثالث قائلا :

مــــا بيننــــا حــــائط مــــن وجــــومْ..

بيننـــــا نســــــمات « الغـــــريم ْ»..

كـــــــــــل أمســـــــــــيةٍ

تتسـللُ فـي سـاعة المـدِّ، فـي السـاعة القمريـةْ

(١) ديوان أمل دنقل – الكتاب الذهبي (المرجع السابق) صـ١٧٢.

تســـــتريحُ علـــــى صـــــخرة الأبديـــــةْ

تتســـمّعُ ســـخريةَ المـــوج مـــن تحـــت أقـــدامها

وصـــــــــــــــفيرَ البـــــــــــــــواخرِ..

راحلـــــــة فـــــــي الســـــــواد الحمـــــــيمْ

لقد دخل أمل دنقل الإسكندرية غريبا، ولم يستطع أن يقدم لها قرابين حبه ولم يبد لها ولاءه، ورغبته في أن يكون أحد شعرائها، فلم تحتويه، ولم تَحْنُ عليه، ولم يقدم لها سوى أشعار ممزوجة بالمرارة والحزن والغربة فكان أن تم الفراق بينهما (١).

❁❁❁

قوة العاطفة وصدق التجربة

لعل كثيرا مما مر بنا من نماذج شعر الإسكندرية لدى محبيها ممن عرضنا جانبا من تجاربهم أتى نابعا من إحساس صادق ، وعاطفة مخلصة ، وحسٍّ جياش ، وهذا النمط من التجارب الشعرية الحقيقية يحمل في طياته مقومات جودته ، وقوة تأثيره .

ويمكننا بعد أن عرضنا ما فاضت به خواطر هؤلاء الشعراء الكبار أن نشير إلى بعض ما حفلت به تجاربهم من أمارات الصدق ، ودلائل قوة العاطفة وقد تجلى ذلك لدى كثيرين منهم في الصورة المعبرة ، والجملة الموحية ، والخيال المحلِّق ..، ولنستعد سويا التصوير البديع للشاعر " زكي غازي " في حديثه عن شاطئ الرمل إذ يقول :

(١) أحمد شلبي – المرجع السابق صـ١٤٩، ١٥٠.

روض مـن الحسـن أدنـاني وبـي رمـقٌ مـن الصَّـبا.. وقبيـل الشـيب أقصـاني!

ياجنـــة الرمـــل، لـــم نكفـــر بنعمتهـــا ولا مسســـنا بهـــا تفـــاح رضـــوان !

ولننظر المفارقة التصويرية البديعة بين روضة الحسن التي سمحت للمحب أن يدنو ويقترب ويتمتع في ميعة الصِّبا ، وريعان الشباب ، ثم لم تلبث أن أقصته وفارقته قبيل المشيب !! .

إن تلك الجنة الفيحاء كانت موضع غبطة وراحة وتقدير ، لم يتمرد المحب عليها ، ولم يجحد فضلها ، ولا تعدى حدوده مع آلائها ... ، وفي مقطوعته الأخرى " الملهمة " يربط الماضي بالحاضر ، ويقرن هذه المرائي البديعة على شواطئ الإسكندرية بما افتتن به المتيمون العرب القدامى من مرائي الصحراء والبيد ، وما غنى به كلٌّ منهم ليلاه ! ويستعيد معهم تلك الذكريات داعيا رفيقيه " المتخيلين " على عادة الشعراء القدامى قائلا لهما : عوجا على الشط الجميل المنسق عسى أن تصادفا رسولا من بثينة !!

وهكذا يربط هذا الشاعر المبدع ماضي الشعر العربي بحاضر، ويستدعي تلك الذكريات الأثيرة وهو يتغنى بمرائي الثغر السكندري البديع ، مازجا رؤاه ومرائيه بتراث الشعر العربي ومطارحاته الغرامية المحببة .

❁❁❁

وفي سكندريات الشاعر " خليل شيبوب " نرى أمارات الحب والشغف من الشاعر لمدينته المحببة التي يحمل لها هوى جامحا ، منه ما هو قديم عريق ، ومنه ما هو طريف متجدد !! فهي أم رءوم ، وهي عروس كثيرة المحبين والهائمين بوصالها :

هـــواكِ بصـــدري حـــادثٌ وقـــديمُ وعهـــدكِ عهـــدي راحـــلٌ ومقـــيمُ
وأنـــتِ كمـــا شـــاء الجمـــال حبيبـــةٌ وأمٌ كمـــا شـــاء الحنـــان رءوم
وأنـتِ عـروسُ الشـرقِ حسـنا وبهجـةً عليـك قلـوب الخـاطبين تحـومُ

وما أبدع هذا الربط الخيالي الذي برع فيه الشاعر عندما حكى قصة الإسكندرية بقوله :

نـــأي عنـــكِ بانيـــكِ العظـــيمُ فـــرَدَّهُ لـــكِ الشـــوقُ ميتًـــا فهـــو فيـــكِ رمـــيمُ
ولكـــن غـــدَا ســـرًّا بأرضِـــكِ رمسُـــهُ كـــذلك سِـــرُّ الغانيـــاتِ صـــميم

وكأن الإسكندرية العروس الفاتنة حفظت سرَّ حبيبها ولم تبح به ، وكذلك موضع رمسه لا يزال سراً غير مستباح !! .

ألا ما أروع تلك الصورة التي رسمها " خليل شيبوب " لمشهد البحر على شاطئ الإسكندرية ، وقد بدا هادئا ، إذ سكن ماؤه ، وترقرقت صفحته ، ولانت ريحه ، وما أبدع ذلك التمازج العاطفي بين مشهد البحر وقلب الشاعر ، الذي يتواصل خفقانه وتتهادى دقاته . يقول :

البحـــرُ مبســـوطُ الأديـــمِ كأنـــهُ صـــدرٌ أليـــفُ مســـرةٍ وأمـــانِ
والـــريح لينـــة المهـــب.. لطيفـــةٌ كتنهـــدات الـــمُوجَع الحزنـــانِ
العـــين يأخـــذها الجـــلالُ كأنهـــا شـــهدت هبـــوط هـــدىً ووحـــي جِنـــانِ
يـــا بحـــر والأمـــواج فيـــك تـــدافعت قلبـــي كمائـــك دائـــم الخفقـــان

❁❁❁

وإذا استعرضنا ذكريات الشاعر " صالح جودت " مع الإسكندرية وجدناه قد لخَّصها في جملة موجزة ، وعبارة دقيقة موحية في استهلال قصيدته " الإسكندرية " إذ يقول :

إسكندرية فيك الري والظمأ   بأي قصة حب فيك أبتدئُ

ويستطرد فيسرد ذكريات الطفولة والصبا والشباب ... ، ويلخص ذلك كله في عبارة مؤثرة ودالة إذ يقول :

أما الشباب فقد فُضَّت موائده   وما تخلف إلا الجوع والظمأ

... فأكَّد ما وشى به في مستهل قصيدته ، وصدَّق آخر تصويره أوَّله !!.ففي البداية ذكر أن فيها الري والظمأ وفي النهاية أكد أنه لم يبق إلا الجوع والظمأ !!.

ومما يذكر لجودت في هذه السكندرية تصوير ماضيها العريق ، واحتفائها بالفاتحين المسلمين بقوله :

فَجْـرُ العروبـة مـن ماضـيك منبثـقٌ   وللغـد المرتجـي ركنـاك متكـأ
يـا مـن هششـت لعمـرو يـوَمَ مقْدِمِـهِ   ولنـتِ للهِ لمـا جـاءَك النبـأ
مـددِت كفَّـكِ للعُربـان فانتصـروا   وسُـقْتِ حتفَـكِ للرومـانِ فـانهرأوا

وما أبدع ذلك التجسيم الرائع للمعاني في أبياته هذه ! وتأمل معي عبارات : " هششت لعمرو " ، " ولنت لله لما جاءك النبأ .. " ، " مددت كفك " ، " سقت حتفك !! . وتأمل الصور البديعية من المطابقات والمقابلات التي أتت طبعية غير متكلفة ولا مجتلبة فزادت التصوير الشعري جمالا على جمال !!.

❁❁❁

أما رائعة " القباني " النونية " ذكريات " التي وقَّع ألحانها على أنغام " ابن زيدون " ، وأشاع أجواءها الحميمية فقد أتت حافلة بالزخم العاطفي الأثير ، بل لقد بدأها بداية توحي بذلك عندما حدد هدفه من استدعاء تلك الأجواء في هتافه المدوي :

بـالله ياصـادحات الأيـك غنينـا   نسـترجع الأمـس أو نبـق الصِّـبا فينـا

أو نسترد من الأقدار رائعة رفافة الحسن من أطياف ماضينا

موجها رجاءه إلى صادحات الأيك مستهدفا من ذلك النداء الملح استرجاع الأمس ، أو إبقاء جذوة الصِّبا على حالها ، أو استعادة أطياف الماضي !! ... ، وكلها آمال عِراضٌ ، وأمنيات عِذاب !! في حقبة غض الزمان الطرف عنهم ، أو كان في سِنَة .... ، وكلها أوصاف توحي بروعة تلك الذكريات ، وحميميَّتها ، بل ومثولها على الدوام في مخيلة شاعرنا ، وهو على يقين بأنها لن تعود ، فقد كانت في غفوة من الزمن ، ثم حالت دونها الحوائل ، وعصفت بها تصاريف الحياة ، وتحولات الزمان .

إن التحسر على ذلك الزمن الذي تولى وانصرم يكاد يعصف بالشاعر الواله فتراه يسترجع دقائق تلك الأحداث وتفصيلاتها ، شاكيا قسوة الزمان الذي أحال تلك الذكريات جمرا في جوانح المحبين ، لا يلبث أن يستحيل دموعا حارة في المآقي !! . يقول:

أيام كنا، وكان الدهر في سنة عنا نرود رياض العمر هانينا؟
إذا دنا الليل أودعنا غلائلَهُ في مطرف كفَراشِ المَرْج تلوينا؟
وإن رنا الصبح من شباكنا التفتت نواعس بالجني النشوان تغرينا
ياللزمان وما صنعت مواكبه من ذكريات نسجناها بأيدينا
تكاد تنفضها جمرا جوانحنا لتستحيل دموعا في مآقينا
إذ نحن فوق الرمال البيض أغنية غني بها في سماء الحب شادينا
وإذ نحس بأعماق الوجود لها في خافقينا صدى ما زال يشجينا
نهفو إلى الطير في دل يطالعنا ونشهد النجم في صمت يراعينا
وللنسيم بسمع الليل وشوشة كما تهامس عشاق شجيونا

وحولنـــا البحـــر يصـــغى ثـــم يرســـلها موجـــات شـــوق علـــى شـــوق تحيِّينـــا

كما تتميز هذه النونية البديعة بأن الشاعر قد ضاعف من روعة إيقاعها بتلك النون المطلقة التي اعتمدها رويا فضلا عن إردافها بالياء غالبا ، مما ساعد على إشاعة جو الشكوى والتحسر على الماضي الذي تناسبه تلك المدود المتقاربة في القافية .

❁❁❁

خاتمة

على نحو ما قدمنا آنفا تجلت الإسكندرية فى الشعر المصري الحديث ممثلا فى قصائد أمير الشعراء أحمد شوقي والشعراء زكى غازي وفؤاد طمان وخليل شيبوب وصالح جودت وأحمد السمرة وعبدالعليم القباني وعبدالمنعم الأنصاري وأحمد عبدالمعطي حجازي ومحمد إبراهيم أبو سنة وفوزى عيسى وأمل دنقل .

وقد نحا هؤلاء الشعراء مناحى عدة فى تناولهم للمدينة الخالدة الاستثنائية فمنهم من تحدث عن فتنتها وجمال شواطئها وبحرها وطيورها وزهورها وحدائقها وعمارتها، ومنهم من تناولها بوصفها مهدا للفنون والعلوم والحضارة ومنهم من أشاد بمجدها وبطولاتها. ومنهم من انتقد قسوتها على الغريب الذى يشعر فيها بالضياع ، وعلى ضحايا المدن الكبرى عموما الذين لا يستطيعون تحمل تكاليف الحياة فيها ، ومنهم من اتخذها رمزا أو قناعا يعبر بهما عن تجربته الشعرية أو الحياتية أو يشهد على العصر من خلال لوحاته عنها ، ومنهم من جعلها عالمه الخاص يحاور فى قصائده عنها واقعه وواقع الوطن وواقع الإنسان فى كل مكان .

وأيا ما كانت مناحى الشعراء ، فقد عاشت الإسكندرية فى قصائدهم بما يليق بها كمدينة جميلة كبرى، خلدتها فتنتها وتاريخها العريق، باعتبارها إحدى عواصم الحضارة الإنسانية الخالدة ، وأرجو أن أكون قد وفقت فى إبراز أهم إبداعات الشعراء المصريين المحدثين حولها وأثرت فى النفوس حنينا إلى بعث حضارتها الزاهية.

مصادر البحث

(١)قاموس الأدب العربي الحديث – إعداد الدكتور حمدى السكوت – الناشر: دار الشروق – الطبعة الأولى (٢٠٠٧) – ويضم دراسات عن شعراء العصر الحديث موضوع هذا البحث أعدها شعراء ونقاد منهم :
– فاروق شوشة .
– د. على عشري زايد .

(٢)موسوعة الشعر العربي الحديث والمعاصر – د. يوسف نوفل – الناشر : مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى (٢٠٠٥) .

(٣)شعراء معاصرون – إعداد المجلس الثقافى البريطانى بالإسكندرية – الطبعة الأولى –١٩٩٧.

(٤)ديوان الإسكندرية [الأول] – إعداد جماعة نشر الثقافة وعلى محمد البحراوى – الطبعة الأولى – ١٩٣٥.

(٥)ديوان الإسكندرية [الثاني] – إعداد الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالإسكندرية – الطبعة الأولى [١٩٦٦] .

(٦)معجم البابطين لشعراء العربية فى القرنين التاسع عشر والعشرين – إعداد مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعرى بالكويت – الطبعة الأولى (٢٠٠٨).

(٧)الإنجيل (العهد الجديد) .

(٨)تجليات الإسكندرية فى الشعر الحديث والمعاصر – أحمد شلبى – الناشر : دار السفير بالإسكندرية – الطبعة الأولى (٢٠١١) .

(٩)ديوان كفافيس شاعر الإسكندرية (الترجمة الكاملة عن اليونانية – دكتور نعيم عطية الطبعة الثالثة (١٩٩٥) .

(١٠) قسطنطين كفافيس – قصائد (ترجمة الدكتور محمد حمدى إبراهيم) مطبعة أطلس بالقاهرة – الطبعة الأولى ١٩٩٢.
(١١) مدن الآخرين (مختارات شعرية) – ترجمة أحمد عبدالمعطى حجازي – الناشر : الهيئة العامة لقصور الثقافة – الطبعة الأولى (١٩٩٥) – سلسلة آفاق الترجمة.
(١٢) مملكة الشعراء – نبيل فرج – الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى.
(١٣) معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين – إعداد مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري بالكويت – الطبعة الأولى (١٩٩٥) .
(١٤) أحمد شوقي – الأعمال الكاملة – طبعة خاصة أصدرها المجلس الأعلى للثقافة (مصر) بمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين لرحيله (٢٠٠٧).
(١٥) الإسكندرية فى شعر أمير الشعراء – فؤاد طمان – محاضرة ألقيت فى مركز الإسكندرية للإبداع (صالون الشعر) ٢٠٠٦ .
(١٦) منابع الإلهام فى شعر فؤاد طمان – بحث للدكتورة / إيمان الشماع – منشور فى حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية (مجلة علمية محكمة) العدد الخامس والعشرين – المجلد الرابع – الطبعة الأولى (٢٠٠٩).
(١٧) قصائد من فؤاد طمان (مختارات) الناشر : دار السفير بالإسكندرية – الطبعة الأولى (٢٠١٠).
(١٨) فؤاد طمان – الأعمال الشعرية – الناشر : دار السفير – الطبعة الأولى (٢٠٠٥).
(١٩) البحر وقصائد أخرى – فؤاد طمان – الناشر : دار أرابيسك بالقاهرة – الطبعة الأول (٢٠٠٩).

(٢٠) المختار من أشعار فؤاد طمان – الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة الإبداع الشعري المعاصر) ط الأولى (٢٠١٠).
(٢١) ديوان " على باب الأميرة " – عبدالمنعم الأنصاري – الناشر : منشأة المعارف بالإسكندرية – الطبعة الأولى (١٩٨٤).
(٢٢) ديوان أغنيات الساقية – عبدالمنعم الأنصاري – الطبعة الأولى .
(٢٣) ديوان " أوراس" – أحمد عبدالمعطى حجازى – الناشر : دار العودة – الطبعة الأولى ١٩٧٣.
(٢٤) حجازى والإسكندرية – فؤاد طمان (محاضرة ألقيت بمركز الإسكندرية للإبداع (صالون الشعر) مارس ٢٠٠٧.
(٢٥) ديوان مرايا النهار البعيد – محمد إبراهيم أبوسنة – مكتبة الأسرة – مهرجان القراءة للجميع (١٩٩٩) .
(٢٦) أغانى الماء لمحمد إبراهيم أبوسنة (مختارات شعرية) – الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى (٢٠٠٢) – سلسلة الإبداع الشعري المعاصر (٢).
(٢٧) الكتاب التذكارى الصادر عن المجلس الأعلى للثقافة عن الشاعر محمد إبراهيم أبوسنة الطبعة الأولى .
(٢٨) ديوان " لدىَّ أقوال أخرى" – د. فوزى عيسى – الطبعة الأولى (١٩٩٠).
(٢٩) الجنوبى (أمل دنقل) – عبلة الرويني – الناشر : مكتبة مدبولى بالقاهرة الطبعة الأولى (١٩٨٤).
(٣٠) أمل دنقل الإنجاز والقيمة – إعداد المجلس الأعلى للثقافة (سلسلة أبحاث المؤتمرات (٢٠) الطبعة الأولى (٢٠٠٩) .
(٣١) شعر أمل دنقل – تحرير عبلة الرويني – الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الأولى (١٩٩٩).

(٣٢) الأعمال الكاملة للشاعر أمل دنقل – الناشر : مكتبة مدبولى بالقاهرة – الطبعة الأولى.

(٣٣) أمل دنقل فى الإسكندرية – فؤاد طمان – الناشر : الهيئة العامة لقصور الثقافة – الطبعة الأولى (٢٠١١).

(٣٤) ديوان أمل دنقل – الناشر : دار روزا اليوسف – (الكتاب الذهبي) الطبعة الأولى .

فهرس

الموضـــــــــوع	الصفحة
مُقَدِّمَة	٢٢١
الإسكندرية في شعر شوقي	٢٢٣
الإسكندرية في شعر زكي غازي	٢٢٧
الإسكندرية في شعر فؤاد طمان	٢٢٩
الإسكندرية في شعر خليل شيبوب	٢٤٤
الإسكندرية في شعر صالح جودت	٢٥٠
الإسكندرية في شعر أحمد السمرة	٢٥٥
الإسكندرية في شعر عبد العليم القباني	٢٥٩
الإسكندرية في شعر عبد المنعم الأنصاري	٢٦١
الإسكندرية في شعر أحمد عبد المعطي حجازي	٢٦٨
الإسكندرية في شعر محمد إبراهيم أبو سنة	٢٧٢
الإسكندرية في شعر فوزي عيسى	٢٧٦
الإسكندرية في شعر أمل دنقل	٢٧٨
قوة العاطفة وصدق التجربة	٢٨٧
خاتمة البحث	٢٩٢
مصادر البحث	٢٩٣
فهرس المحتويات	٢٩٧